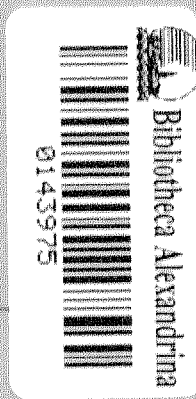


مي زياده

مجموع العوالم
رواية

وفيل



مَجْزِيَاة

رَجْوَعُ الْمَوْجِبَةِ
رَوَايَةٌ

مؤسسة نوفل
بيروت، لبنان

الفصل الأول

كان مساء ٨ أكتوبر بارداً والجو ملبداً بالغيوم . وعندما أقبل أول الليل أخذت مساكن شارع رامبران تتوارى عن النظر شيئاً فشيئاً وراء حجب أستار ذلك الظلام الخالك وكان الهدوء محيطاً بالمكان والسكينة محدقة بجهاته الأربع كأنه روضة في قفر .

وإذا بأمرأة حديثة السن حسنة الهيئة جميلة المنظر ملتحفة برداء واسع تعبر تلك الطريق بسرعة وهي تذهب وتأتي وتصعد وتنزل ناحية الرصيف بين شارع لسبون وشارع كوسل الى أن وقفت أخيراً أمام أحد بيوت الشارع الثاني ونظرت ملياً واجهته المشرفة على السكة . لو صادفها أحد من المارين وقتئذ على تلك الحال لما شك في انها تنتظر شخصاً ما وان ذلك المكان هو مورعد للقائها . غير انه لم يكن من سبب لمجيئها سوى مراقبة خيال .. خيال فتاة ولدت في ذلك البيت، منذ احدى عشرة سنة إلا أنها

كانت منذ حين رقدت رقادها الابدي تحت المرمر المحاط
بشجيرات الورد الابيض .

هذا وقد هجم الظلام الخالك بخيله ورجله حتى ان كثرة
المصابيح المتلألئة لم تكن تعني شيئاً. فجلست تلك المرأة بالقرب
من باب إحدى الحدائق وغاصت في بحر من الافكار المزعجة
وبعد هنيهة بدأت دموعها الكثيرة تنهل على وجناتها وهي تتأوه
وتصعد الزفرات من قلب مجروح . وفي غضون ذلك أرادت ان
تترك تلك البقعة التي كثيراً ما تذكرتها أيام سعادتها وإذ عزمتم
على مفارقة ذلك المكان سمعت بغتة صوت مركبة في أول شارع
كوسل فاستولى عليها رعب شديد واكتنفتها الحيرة من كل جانب
وأخذت ترتجف وهي لا تدري ماذا تعمل من شدة انفعالها
وأوشكت ان تقع على الخضيض لكن يدا قوية أمسكتها بغتة
وهي مطبقة الجفنين كغمى عليها واضعة رأسها على ذلك الكتف
التي تسندها وفي أثناء ذلك سمعت صوتاً كان قد غاب عنها منذ
خمس سنوات .

— مرغريت !

ففتحت عينيها ونظرت في وجه من ناداها ثم أطبقتها وبعد
لحظة سمع صوتاً من بين شفتيها المصفرتين :

— أليير !

— مرغريت . مرغريت . أنت هنا ؟ ألم ترالي تتذكرين وقد
أتيت الى هنا لتنظري البيت الذي ولدت فيه ؟ ثم جعل أليير يضغط

على ساعد مرغريت بشدة ولم تستطع الجواب بل كان يصعب
عليها التنفس وبعد هنيهة أجابت بالجهد : نعم جئت ولكن
لا تكلمني بل دعني وشأني .

فدنا منها وهو ممسك بيدها وهمس في أذنها : من إحدى
عشرة سنة يا مرغريت .. لو عاشت ابنتنا لكانت بلغت إلى هذا
العمر . قال ذلك والزفير يقطع صوته وكاد يتقطع قلب تلك
المسكينة التي بدأت عبراتها تجري على وجنتيها كسيل مدرار .

– أبكي يا مرغريت اندي ابنتك واندي حظ ابها التمس .
نعم انا هو ذلك الأب السيمى الحظ والدايشون أليف صباك
وشريك حياتك سابقاً وقد نسيت ذلك .

فقاطعته بجرأة قائلة : لا أنا لم أنس . ثم ظهر على محياها انها
تتذكر كل ما قاسته من العذاب مع ذلك الرجل في غابر الزمان .
على ان ألبير تظاهر بأنه لم يسمع كلامها ثم قال :

– تعالي نذهب الى الحديقة إذ أنها خالية في مثل هذه
الساعة ولناخذ معنا كالسابق ابنتنا ايثون .

فأذعنت مرغريت طائعة لأنها كانت قد اعتادت الطاعة لهذا
الصوت ولكن في الدقيقة عينها خطر لفكرها كوميض البرق
انها زوجة رجل آخر بيد انها ظنت ذلك حاملاً : نعم هذا هو
الشارع : وهذا هو البيت بعينه وهذه الحديقة نفسها : وألبير
يجانبها حسب سابق عهده .

– تلك كانت حياتها الماضية وهذا هو عين الحقيقة بل كيف
تغير كل هذا يا ترى ؟ وكأنا يسيران في طريقها صامتين وهو
يخالسها النظر من وقت الى آخر يمتع عينه بذلك الوجه الجميل
المحبوب الذي يستره برقع شفاف فكان يخاطب نفسه قائلاً :
ترى كيف نسيت زوجتي وعلق قلبي بحب امرأة أخرى نعم اني
عشت عدة سنوات بعيداً عن تلك التي كنت أعبدها ثم أنه شعر
بنار شوق تحرقه وأراد أن يضمها الى صدره مستغفراً إياها أما
هي فكانت مضطربة قلقة (كريشة في مهب الريح) لا تعرف
ماذا تفتكر وتقول وعندما وصلا الى باب الحديدية عادت الى
الوراء وقالت :

– يجب أن أذهب وحدي أرجو أن تتركني وشأني .

– لا

فأطاعته ولم تخالف له أمراً وسارا معاً الى أن وصلا الى بقعة
كثيرة الاشجار خالية ثم ظهرت لهما عن بعد أرض مخصصة فيها
أشجار عظيمة غير أنها مجردة من أوراقها وكان هذا المنظر مؤثراً
جداً تحمت جنح الظلام الحالك وإذ تأكدت مرغريت ان لا ثالث
بينها ولارقيب على حركاتها اطمأنت قليلاً وأمعنت النظر في وجه
ألبير الذي إذ لاحظ منها ذلك أطرق ولم ينبس ببنت شفة .

– كيف وجدتي أما ترين هيثي متغيرة ؟

– نعم

– هل تقدمت في السن ؟

– لا شك في ذلك .

– أرى ان الوقوف يتعبني فلنجلس هنا يا مرغريت .

فاتجها نحو مقعد كان قريباً منها وجلسا عليه ثم شرعت مرغريت تحديق في ملامح ذلك الرجل الذي أحبته مدة طويلة فرأته شاحب اللون ضعيف الجسم منحط القوى وعند ذلك مالت إليه كل الميل وأحست بشفقة عظيمة عليه حتى ان قلبها كاد يذوب حناناً . ولم يكن إلا القليل حتى تذكرت خداعه لها بعد موت ابنتها ايثون الوحيدة . نعم قد تمثلت لها تلك الخيانة الفظيعة التي تقشعر منها الأبدان كيف لا وهي انها عندما كانت تبكي وتنوح وفي حالة يرثى لها من الأحزان رأت بين ذراعي زوجها امرأة أخرى هي من أعز صديقاتها . لعمرى انها لأفكار مؤلمة تأبى ألا ان تستقر في الخيلة لتعذب صاحبها تعذيباً وتكوي فؤاده حيناً بعد حين بتذكرات هي أحر من الحجر .

إذ رأى ألبير مرغريت صامتة أحس بما كان يدور في خلدها من الأفكار المزعجة والهواجس المؤلمة فدنا منها بكل هدوء وأسند رأسه المكشوف إلى كتفها المرتجف فنظرت إلى شعره الأسود الذي طالما سرحته بيديها ثم حدقت في صدغيه حيث كانت تظهر عروق زرقاء نحيفة . فعند ذلك زاد اضطرابها وهاجت

عواطفها . فلم يغيب عن ألبير ما شعرت به لأنه كان عارفاً حق المعرفة بعظم حنوها وضعفها النسائي فقال لها بلين

– مرغريت لا تخافي . نعم قد كنت زوجك في الماضي وهانذا لم أزل حتى الآن بل وما دمت حياً أرزق .
– لا لا .

– بل نعم نعم . ثم وقف وأمسك يديها وقال : ذهبت اليوم إلى مدفن ابنتي ايثون وأتيت بهذا الغصن الصغير من شجرة ورد أبيض بالقرب من ذلك المدفن وما هو .

فتناولته مرغريت من يده وقبلته بحرقه مراراً ولثمته تكررراً
ثم استأنف كلامه قائلاً :

نعم ان ايثون كانت تحبنا حباً شديداً لازيادة بعده لمستزيد .
أما مرغريت فلم تستطع أن تجيبه بشيء لأن العبرات كانت تسيل بغزارة على وجنتيها والزفرات كادت تَحْنَقها ثم تنفست الصعداء مراراً والعرق يتصبب من وجهها

– آه يا مرغريت اني من حين فقدت أمي لم أجد أحداً يكلمني عن ايثون عزيزتي فهي ماثلة أمام عيني آناه الليل وأطراف النهار ولا تبرح من بالي لحظة واحدة

– أين تركت صديقتك ؟

قالت هذا وهي تضطرب اضطراباً من شدة التأثر

– ان تلك لا علم لي بمهب ريحها نعم انها صحبتني مدة سنة تقريباً عندما كنا نجوب البلاد سوية ومنتقل من جهة إلى أخرى ثم افترقنا وذهب كل لشأنه .

– ترى أين ذهبت ؟

– إني لا أعلم من أمرها شيئاً فان بلاد الله واسعة أرجاؤها .
وأما أنا فقد عزمت على أن لأعود إلى باريس حيث أرى آثار سعادتي الماضية وقد توفيت والدي بعد ان استقدمتني إليها على أني أشكر الله شكراً جزيلاً يا مرغريت لأنه قبض لي مرآك

– إني وحقك لم أجن ذنباً ولم أقترف إثماً ولم أفكر قط في الخيانة بل أراني لم أزل متسريلة بثوبي العفاف والأمانة . نعم إني كنت أحبك وأحافظ غاية المحافظة على ذلك الحب بيد انك خنت وهدمت سعادتك بيدك

فهز كتفيه وقال : كان يجب أن تسامحيني يا مرغريت ... لم لا تغفرين لي لم لا تسدلين ذيل العفو وتعودين زوجة لي كالأول ؟

فاطرقت مرغريت إلى الأرض صامتة لا تحير جواباً ورجرت دموعها على خدها غير ان قلبها كان يخفق خفوق الغبطة وبعد هنيهة قالت :

– لقد ساءحتك

- لكن سماحك هذا لا يجدي نفعا الآن ومنذ قليل قلت
عندما زرت مدفنها يا بنيتي الصغيرة الراقدة تحت الثرى :
أنصدقين ان أمك قد تركتني فها أنذا أبكيك وحدي طالما
بقيت حيا .

فتحركت الشفقة في قلبها ثانية وقالت : لا . بل ابكيا معي
- نعم الآن أبكيا معك ولكن غداً مع من يجب أن أبكياها؟

أما مرغريت ففكرت بولدها الذي كان ينتظر رجوعها إلى
البيت فإذا ذلك كفكفت دموعها بمنديل ونهضت ناظرة إلى الساعة
ثم قالت لا أرى شيئاً .

فأخذ ألبير الساعة ونظر إليها وقال الوقت منتصف الساعة
السابعة

- فيجب علي الانصراف إذا .. فان ابني الصغير ..
أنا عارف بوجود ولدك وأنا أحبه من كل قلبي كيف لا
وهو أخو ابنون . إني أستودعك الله الآن فاذمبي يا مرغريت
بجراسته تعالى ولكن أستحلفك بأن تعودني إلي في الغد .

- أعدك بأنني أعود

- من كان يجبك منذ عشرة سنوات ويبدل النفس والنفس
في سبيل رضاك أأنت أنا ؟
- نعم أنت

— ألم تكوني زوجتي التي أحببتها قبل أن تعرفي رجلاً آخر

— نعم

— فلنعد إذا يا عزيزتي إلى ما كنا عليه قبلاً من حسن الاتحاد
والوئام لنقضي باقي العمر معاً في معترك هذه الحياة وانسي الماضي .
ومن ذا الذي ما ساء قط ! أما أنا فاني أعتبرك قرينتي كالسابق
ولا أريد أن أتفصل عنك ولا أن أعيش بدونك . فانا شك الله
أن تعودني إلى " فان العود أحمد اقسمي لي إذاً بحبك لإيفون بأن
ترجمي بدون ابطاء

أ إلى هذا الحد تصل بإلحاحك ؟

— نعم إذ لم يبق لي من طاقة على الاصطبار ولا أقدر على
احتمال بعادك عني إلى أكثر من غد : نعم يا مرغريت وحقك
اني أذوب ضجراً في وحدتي وقد سئمت نفسي العيشة في هذه
الحياة الدنيا : عودي إليّ ولا تخافي علي ولديك فان والده يعتني به
وأملك تعوله فلا بأس عليه أما أنا فاني أراني وحيداً في تعاسي
في هذه الدنيا إذ لا معين لي ولا أنيس يسليني في وحدتي فاسرعي
بالرجوع ان كنت تحبين ايفون وتعزيني (ثم حاول أن يأخذها
بين ذراعيه)

— ثق بكلامي وتيقن اني أرجع على شرط أن لا تتلفظ
بشيء مما ذكرته الآن .

— سأطبعك بلا سؤال

- وأنا سأرجع بدون ريب وأما الآن فلا بد من ذهابي على
جناح السرعة لمشاهدة ابني الذي قد مل من الانتظار .

- اذهبي الآن بحراسة الله وغداً ترينني انتظرك وبعد غد
وكل وقت في هذا المكان فاني لا أتعداه .

فتركته مرغريت وسارت في سبيلها وكل جوارحه أنظار
تشيحها. أما هي فبعد أن ابتعدت عنه قليلاً التفتت فرأته لم يبرح
مكانه وقد رفع يده مسلماً ثم ركبت أول عربة وجدتها وذهبت
تنهب الأرض حتى توارت عن النظر .



الفصل الثاني

انتهت مرغريت الى البيت وقرعت الجرس ففتح ورأت زوجها أمامها وهو طلق الحيا باسم الشفتين ولما رآها أسرع إليها وصافحها وأمارات الحب ظاهرة على وجهه ثم خاطبها بمخوقائلا:

لقد تأخرت يا عزيزتي فماذا جرى لك اليوم ؟

فأجابته غير مكترثة به : لم يجر لي من شيء قالت هذا واذا بصوت أمها يناديها : أسرع يا ابنتي أسرع فان صغيرك يبكي ولا يريد أن ينام بدونك : فقالت هانذا آتية . ثم هرولت الى حجرتها وأشعلت فيها المصباح ثم وقفت جامدة حائرة في وسط الحجرة لا تعي على شيء مرتبطة اليدين حزينة النفس وكأنها ترى ذاتها انها غريبة في هذا البيت . وكان زوجها قد تبعها فلما رآها على هذه الحال دنا منها ومد يده الى رأسها نازعا الدبابيس من شعرها ثم رفع القبعة عنه وقال :

أسرع الى الصغير يا حبيبتي فانه يبكي منذ وقت غير وجيز؟

– ويلاه هل هو مريض؟

– لا بل هو في غاية الصحة لكنه قد اعتاد ان يرى امه كل يوم قبل هذا الوقت فضفي اليه وبعد ان تناغيه قليلا ينام لاحالة فأسرعت مرغريت الى حجرة ابنها واطفاً زوجها المصباح ثم دخل مكتبه وجعل يقرأ في كتاب كان قد طواه عند دخول مرغريت وبعد مضي نصف ساعة خرجت تتبعها أمها على الأثر فسألها زوجها :

هل نام الصغير؟

فقال والدتها نعم نام .

– فاذا يلزم ان نتناول طعام العشاء .

وإذ جلس الثلاثة على المائدة شعرت مرغريت ببعض التعزية عندما رأت زوجها الحقيقي تلقاءها وتذكرت ألبير ذلك الخداع الذي عندها ونقص عيشها فقابلت بين الأول والثاني فرأت فرقا عظيما بين معاملة هذا وذاك فان زوجها الثاني كثيراً ما أحبها في كل مرحلة من مراحل هذه الحياة وخصوصاً عندما كان يراها محتاجة فانه مدّها لها يد المساعدة واتخذها تحت ظل حمايته لكي ينسيها آلامها السالفة ويبدل غمومها وهمومها بالأفراح ولذلك شعرت بميل اليه فائق العادة ورأت انها محتاجة الى أن تجربه بواقعة الحال أي بما جرى لها في يومها غير أن وجود والدتها مدام موستل منعها

عن الكلام فأبقت ذلك الى أول فرصة تسنح لها إلا أنها لم تستطع
كتمان عواطفها واخفاء احساساتها ولم تمض سوى هنيهة حتى
تفجرت ينابيع دموعها وسالت انهار دموعها على خديها وشعرت
بضيق صدرضاغطٍ على مجرى النفسِ كاد يخنقها وأخذت
تئن أنين البائس الحزين . فحينئذ نهض روجر عن كرسيه
مرتعباً مضطرباً وأوقفها في مكانها وأسندها على ذراعه ثم ذهب
بها الى حجرتة حيث أجلسها على مقعد هناك وفي غضون
ذلك هرولت مدام موستل والطعام في فيها وقالت : ما الخبر
وأى خطب جرى ؟

— لا تخافي يا حماي دعيني أعالجها وحدي أما أنت فاذهي
الى مزاولة شؤونك .

— نعم في مثل هذا اليوم ولدت ابنتها ايثون فيظهر انها
تذكرت ذلك فما قدرت والحالة هذه على امتلاك عواطفها

— لم يغرب عني ذلك وقد ادركت كل هذا من ملامح وجهها
وظهر لي جلياً انها تفتكر بابنتها ايثون . قال هذا وشرع يداوي
امراته هذه بعناية كلية واعتناء لا زيادة بعده لمستزيد وهو
ينشقها المنعشات على اختلاف انواعها وضروبها وكان طبيبياً ماهراً
في صناعة الطب ولم يكن إلا بضع دقائق حتى عادت اليها قواها
وفتححت عينيها كأنها قد انتبهت من سبات عميق وقالت :
يا روجر اذهب وأتم طعامك وأنت يا والدتي اصحبيه الى المائدة

واستكلي غداءك فيما من حاجة لي بكما بعد .

فأجابت والدتها : لا أستطيع ان آكل لقمة واحدة لأن
معدتي في اضطراب شديد !

– تعالي يا حماقي معي الى المائدة . وأنت يا عزيزتي مرغريت
اذا شعرت بتعب جديد فما عليك إلا أن تقرعي جرس الاستدعاء
لأحضر بسرعة .

– لا شك في ذلك .

فهدأ روع مرغريت وجمعت قواها لأن المكان خلا لها ثم
بدأت ثانية تعيد في فكرها ذكر ماضيها وما حدث لها في أدوار
حياتها ، وما هي اللحظة حتى اغمضت جفניה فتتمثل حينئذ شخص
ألبير الحلو أمام ناظرها فأمعنت النظر طويلا في صباحة ذلك
الوجه المنير والجبهة العالية البيضاء كما انها تأملت في ذلك القوام
المعتدل الذي لا يضاهيه قوام فضلا عن رنات صوته اللذيذة الى
غير ذلك من الصفات التي كانت تأخذ بجماع القلوب . فعند ذلك
عضت على أناملها ندما وكادت تغيب عن الرشد ثم عسادت الى
واجباتها وفكرت في شخص الدكتور روجر الذي كان قوي
البنية عريض المنكبين اسمر اللون ذا لحية سوداء طويلة وعينين
براقتين تلوح على بحياه طهارة القلب وسلامة النية وحرية الضمير .

قد علم مما تقدم ان مرغريت تحب ابن عمها روجر لكن شتان
ما بين الحين الأول والثاني وقد قال الشاعر :

نزه فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

نعم ان حبها وعشقها وميلها وهواها وقلبها كل ذلك كانت قد منته الى ألبير الذي عرفته أولاً ومعلوم أن الحب كلما عظم ازدادت الغيرة . على أن مرغريت عندما رأت ما كان من أمر زوجها ألبير مع صديقتها بلانش كبر عليها وصعب احتمالها فأسرعت الى أمها وقصت عليها الخبر مظهرة لها عظيم حزنها وشديد كدرها غير أن هذه لم تكن ذات تعقل ورزانة وحكمة لتسكين جاشها وتهديئة روعها فهاجت وماجت لدى سماعها ذلك وانتفضت انتفاضاً وقالت تباله من رجل دنيء ، ووغد لئيم عادم الشرف فاقد الاحساسات الانسانية أسألك رباه ان تخلص ابنتي من هذا الوحش الضاري !

ولم تكتف العجوز بهذا الكلام المبهج العواطف دفعة بل كانت تتلفظ به مراراً وتراجعته تكرر أمام ابنتها مظهرة لها فظاعة عمل زوجها وخيانتته التي لا يطاق احتمالها ولم تنزل على هذا ومثله من اغتياب ألبير وتخطئته بأسمج الألفاظ والتعابير حتى بدأت مرغريت تشعر بأن مراحل العداوة والحقد تغلي في احشائها وصارت تكره ألبير كرهاً عظيماً وشعرت بأنها لا تقدر أن تساكنه ولا أن تعيش معه . فعزمت على طلب الطلاق . على انها عندما أعلنت ذلك لوالدتها قالت لها هذا الصواب بعينه كيف لا وان

الزوج هو سيء المبادئ فاسد السيرة فلا تطيب السكنى معه
بوجه من الوجوه .

أما ألبير فانه سمع في إحدى المرات الحديث الذي كان
يدور بين الأم وابنتها بهذا الخصوص وعندما طرقت مسمعيه
كلمة « طلاق » أسرع طالبا مواجهة مرغريت فأبت مقابلته كل
الاباء ثم كتب لها بعد ذلك عدة رسائل غير انها أعادتها إليه على
الامر مختومة كما كانت . فاستعان ببعض الأشخاص من ذوي
الرزانة والرصانة والمعرفة التامة بمقائى الأمور ليحادثوها في
الأمر فرفضت مقابلتهم وأبت أن تسمع كلام وسيط أو حديث
رسول في هذا الشأن . وبعد ان استعمل كل الوسائط الفعالة
لاصلاح ذات البين بينه وبينها ولم تفد شيئا بل ذهب ادراج
الرياح لم يشأ أن يحتقرها ولا أن يعاملها معاملة سوء فعزم أخيراً
على أن لا يعود يفتاحها بهذا الأمر بل يدعها وشأنها تاركاً حبلها
على غاربها .

هذا وبعد أن تم أمر الطلاق بين الزوجين شعرت مرغريت
بوخز الضمير المتعب وضيق في صدرها وما ذلك إلا لأنها كانت
تحب ألبير حباً لا زيادة بعده وكانت تبكي بكاء مرأ وتندب
حظها حينما كان يخطر في بالها انها قد فارقت فراقاً لا اتحاد بعده
ولم يجز ذلك إلا بمجرد ارادتها وقبولها التام . على أن والدتها
كانت تبذل أقصى الجهد من جهة ثانية باقناعها بأن تتزوج ابن عمها
روجر الذي كان يحبها حباً شديداً غير أن مرغريت لم تعبأ بهذا

الكلام في أول الأمر وحسبته أمراً ساقطاً لا يلزم أن يذكر بشفة ولكن نظراً لما رأت من حنو ابن عمها روجر وحسن أمانته وشفقتنا أخذت تفكر في هذا الأمر من وقت إلى آخر إلى أن أضحي شغلا لها صباح مساء وكثيراً ما كان هذا الفكر يلقبها في غدواتها وروحاتها وإذ لم تر مناصاً من هذه الأفكار المتعبة والهواجس المضنية اضطرت أن ترضى الاقتان بابن عمها روجر على انها عازمت عزمها أكيداً ثابتاً على أن تنحو من فكرها اسم ألبير واسم كل شخص يذكرها به .

أما روجر فقصد اتخذ كل الوسائط الفعالة لكي يجعلها سعيدة ذات عيش رغد وقلب مطمئن لتنسى ذكر تلك الآلام الماضية . وكان يقرأ غمومها وسائر أحزانها بل وأعماق أفكارها في عينها وملامح حياها وكان يدل على كل هذا اشاراتها وحركاتها . وقد فهم روجر في ذلك المساء ان مرغريت تتعذب عذاباً مبرحاً بتذكر أمر محزن .

كان يجري ذلك في مخيلة مرغريت وأخيراً طرق اذنيها صوت أمها تخاطب روجر في قاعة الطعام

— اني في قلق شديد فدعني أذهب إليها

— لا ضرورة لذهابك بل الزمي مكانك

— انها وحدها فلا شك انها تضجر

– دعيها منفردة ان الوحدة تفيدها في هذا الوقت
– على انها عصبية المزاج
– لا عجب في ذلك فانها قد ذاقت من أنواع العذاب في
ما مضى من حياتها ألواناً
– تبأ له من قاس !
فأنكر الدكتور روجر عليها ذلك وقال لها بلطف : أرجو
يا حمايتي أن لا تعودى إلى ذكره
– أهلك الله ألبير الذي كان سبب شقاءها وعذابها
– بل الأولى بك السكوت لأنها إذا سمعت شيئاً من هذا
فانه يزيدا آلاماً
– لا أستطيع أن أسكت
– ان كان الأمر كما تقولين فأنا أشير عليك بالنوم العاجل كهذه
فأطرقت مدام موستل ولم تجب بكلمة . ولم يكن إلا القليل
حتى نهضا وذهبا إلى حجرة مرغريت ثم دنت منها والدتها
وودعتها بقبلة في جبينها قبل أن تذهب إلى سريرها . أما
مرغريت فأشارت عليها بالبقاء ففعلت . ثم سألتها روجر قائلاً :
كيف أنت الآن يا عزيزتي مرغريت ؟
– أحسن قليلاً واني أشكرك شكراً جزيلاً ولم أزل أحسن
ببعض التعب

– لا بأس عليك، فالزمي سريرك وخففي عنك قلق الفكر
واضطراب البال فانهما يضمنان الجسم كما لا يخفي عليك
ثم جلس واشتغل بمطالعة الجرائد وكان حيناً بعد حين يخالسها
النظر وأما هي فكانت تتناوم وليست بنائمة .



الفصل الثالث

عند انبلاج صباح اليوم الثاني نهضت مرغريت من فراشها وسألت عن زوجها فأجيبته بأنه خرج منذ ساعتين فذهبت إلى غرفة طفلها وحملته على ذراعيها وأخذت تكثر من تقييله وملاعبته وضمه إلى صدرها كأنها لم تره منذ أشهر طويلة . وكان وجود صغيرها مكسب بين ذراعيها أحسن واسطة لأن تنسى ألبير وتسلوه وبينما هي تناغي صغيرها وتلثمه أقسمت له بأنها قد نحت من فكرها اسم ألبير فهي مزمنة أن لا تعود إلى تذكره في حال من الأحوال ولا يصعب عليها ذلك بل يكون سهلاً لديها بوجود طفلها المحبوب الذي تبذل دونه النفس والنفيس فهي مصصمة أن لا تحب سوى طفلها هذا ووالده الدكتور روجر . وكان ذلك الطفل كحمامة وديعة حين تمس شفتاه ثغرها تشعر بلذة خارقة العادة وتحن إليه حناناً لا غاية بعده وهو يلغو تارة ويصرخ أخرى وحيناً يصفق وحيناً يبش في وجه أمه ثم يقرع اديم الارض برجليه فرحاً .

ثم أتى الدكتور روجر فوجد زوجته وابنه على هذه الحالة من الانسراح والسرور فوقف هنيئة عند باب الحجره مراقباً متأملاً حركاتهما اللطيفة مصغياً إلى حديثهما الذي حسن وقعه في أذنيه ولم يكن قد شعر من قبل بمثل هذه اللذة . وكانت عيناه ترمقانها بجنون لا يوصف وفؤاده يرقص من هزة الطرب على رخيم صوتهما وما عثم أن رمى بنفسه عليهما وتناول الطفل بذراعه وضم أمه بالأخرى سائلاً عن صحتها الغالية باهتمام عظيم ثم قال : أريد أن أريك شيئاً جديداً أيتها العزيزة فواجه إليه حسن التفاتك . وعلى أثر قوله هذا ضرب جرس الاستدعاء فدخل أحد الخدام فأشار إليه الدكتور بأن يأخذ الطفل مكسباً إلى مرضعه ثم خرج إلى صحن الدار وأتى بباقة أزهار بيضاء كبيرة ووضعها بين يدي مرغريت قائلاً : عزيزتي قد آليت على نفسي أن أزور مدفن ابنون في هذا اليوم لأضع عليه هذه الأزهار النقية وقد خطر لي هذا أمس وأرغب في أن تصحبي في هذه الزيارة فماذا ترين ؟

فرمته مرغريت بنظرة طويلة كانت تبدو في خلالها على صفحات مجاها عبارات الشكر والامتنان لأن فكر روجر هذا قد سرها سروراً لا يوصف ووقع من نفسها أعذب موقع ثم أطرقت وعلامات الابتهاج وانسراح الصدر بادية على وجهها

— ماذا ترين يا مهجتي ألم يحل ذلك في عينيك ؟ دعي عنك التأثير وأتركي الانفعالات النفسانية الشديدة الأضرار بالصحة

ولا شيء يحل محل الصحة كما لا يغرب عنك

سارا في الشارع الموصل إلى المقبرة ويد مرغريت بيد زوجها
ولم ينبسا ببنت شفة في أثناء سيرهما هذا، وعندما قربا من المدفن
أسرعت في مشيتها اشتياقاً وحنيناً للراقدة فيه وما وقع نظرها
عليه حتى هرولت بسرعة شديدة وجثت على ركبتيها خائفة
القوى منكسرة القلب حزينة النفس دامعة العين غارقة في بحر
من الأحزان .

وبعد ذلك حانت التفاتة من روجر إلى ضريح ايشون فرآه
مكسوا بأنواع الزهر المختلفة الألوان والأشكال فوضع باقته
فوقها بوافر الاحترام ولحظ بين تلك الورود الذابلة أكليلاً وبقايات
منها خضراء حديثة الوضع فتأكد أن مرغريت هي التي أتت بها
بالأمس فقال لها : لماذا لا تخبريني حينما تأتين إلى هنا ؟ نعم الآن
فهمت جلياً سبب دموعك وقلق أفكارك مساء أمس !

أما مرغريت فكانت غائبة عن رشدها لا تسمع ولا تفهم
ما يقال لها وهي ذارفة الدموع باكية نائحة راثية فلذة كبدها
ايشون بألفاظ تفتت الأكباد وتلين الصخر الأصم مخاطبة ايشون
كأنها في عالم الأحياء بين يديها ثم تنظر حيناً إلى الأزهار التي على
المدفن وتلمسها بأناملها ثم تقبل بحرقه شديدة تلك التي أتى بها
ألبير كأنها ذخيرة منه .

فعلى هذا الضريح تذكرت مرغريت في ذلك الوقت حبيبين

لها تقديمها بروحها : ألبير وايفون . نعم انها لم تحب أحداً في
ماضي حياتها كما أحبتهما وقد بدا لها أن موت ألبير ولو كانت
منفصلة عنه أشد عليها من موت ايفون .

فيا أيها الدهر الخؤون الغدار لم جمعت قواك وبذلت جهدك
في تفريق شمل الأحباب وتشتيت الأصحاب لم هذا الجور أيها
الزمان الظالم بل كيف يسوغ لك أيتها الطبيعة اصدار هذا
الحكم المخالف كل عدالة على خط مستقيم بتشتيت هذه الأسرة
الصغيرة ؟

وأما أنت أيها الحب القوي الجبار ترى بأي عبارات أكلمك
وبأي لسان أخاطبك بل أي ألفاظ أسوقها إليك لعمري أنك
لأنت الملك العظيم الاقتدار أنت المستبد بالحكم على شعبك الكثير
لم أيها الحب لا تصد هجمات الكون عن عبادك وتمنع الايذاء عن
آلك والتابعين شرعك ومرادك ؟

لم لم تدفع إليها الحب عن هؤلاء الثلاثة نعمات غضب العالم
والدهر والزمان والسماء والأرض والعناصر ؟ مع أنك أيها الحب
على كل شيء قادر . لعمري انه لم يكن من العدل ان تسمح
للتبيعة والأحوال أن تكدر صفاء عيش من اتبعوا شريعتك .
كيف يجوز أيها الحب ان تدع الموت والافتراق يدخلان بيوت
من يعبدونك ويحافظون كل المحافظة على اتباع سننك ؟

ظلت مرغريت جاثية زمناً طويلاً وهي غائصة في بحر من

التأملات المحزنة لكنها تصورت على حين بفتة شخص ايقون
منتصباً أمامها فهتفت : ابنتي المحبوبة هلمي إلى داخل قلبي تعالي
أقيمي في حضن أمك الحزينة التي لا تنسك ولا يطيب لها عيش
بعدك سلام عليك وألف تحية يا ابنتي التي أذوب حباً لدى ذكر
اسمك العذب المستحب . سلام على عينيك المطبقتين حتى يوم
النشور سلام على شفتيك الباردتين أين أنت الآن يا ولدي ايقون
عند من تسكنين ومع من من الملائكة تلعبين ؟

بل سلام على روحك الطاهرة التي لا شك انها تتنعم بذلك
الفرح الدائم ! لكن أنى لجسمك المتنعم أن يحتمل السكنى مع
الديدان ويطيق ظلمة القبور؟ نعم نعم قد تلاشى جمالك واضمحل
حسنك وذبل ورد خديك وأضحت أعضاؤك ربما بالية وصرت
أثراً بعد عين .. فوالوعتاه ووا حسرتاه . لم لا تسرع أيها الموت
وتأخذني إلى فلذة كبدي ايقون ؟ تعال ولا تبطيء .

وفي غضون ذلك نظر روجر إلى مرغريت فكاد قلبه يتمزق
وخصوصاً عندما رأى جسمها ملقى على الحضيض جثة لا حراك
بها فدنا منها ومسك يدها وأنفضها بجنون قائلاً لها : انهضي أيتها
الحبيبة الحزينة فقد آن لنا أن نذهب . فوقفت وقد أودعت
ذلك المكان التنهيدات والزفرات التي يرق لها الجلود ثم سارت
وهي مستندة إلى ذراعه أما هو فعندما رأى أن الحزن آخذ
منها مأخذه شرع يعزبها ويقول لها : كفكفي دموعك وافتكري
بمكسيم ولدك الجميل المحبوب تذكري كلماته اللطيفة افظني في تلك

القبيلات الحلوۃ اللذيذة فقالت بصوت خفي نعم .. نعم .. بعد
ان كادت تخنقها العبرات ثم نشفت دموعها وهي صامته . ذلك
ولم يزل روجر يردد على مسامعها آيات حبه لها الى غير ذلك من
العبارات التي تجعلها تسلو ايثون ثم قال لها : اني أبذل النفس
والنفيس في سبيل رضاك يا عزيزتي لأنسيك ذكر عذاباتك الماضية
وما تقاسينه من فراق ايثون .

— لا أقدر أن أنساها .

— أعرف ذلك ولكن ما قولك اذا رزقت ايثون أخرى ؟

— فابتسمت عند ذكر ذلك على ما بها من الحزن والغم .



الفصل الرابع

وعندما وصلا الى سانت اوغستان قالت له : اشكرك
ياروجر شكراً جزيلاً .

— باذن الله سأشاهدك مساء في أتم صحة وأنعم بال .

قال هذا وذهب في طريق آخر لعيادة مرضاه وكان النهار
صحواً مع أن السحب تحجب السماء وبينما كانت مرغريت سائرة
تذكرت عندما سمعت الساعة تضرب انها عاهدت أليير بالمقابلة
في مثل هذا الوقت بالحديقة المألومة فوقفت تناجي نفسها وقد
حارت في أمرها ولم تدر ما تعمل على انها كانت متيقنة نيل عزاء
عظيم بقربه لا سبيل للحصول عليه بسواه ، لأن الحديث بينها
سيكون في ايثون . ثم قالت في نفسها لا مانع يصدني عن الذهاب
اليه فهو وحيد في هذه الدنيا لا أنيس له ولا تعزية فلا يمكنني ان
أخلف وعدي بل لا بد من الذهاب اليه الآن على جناح السرعة
قالت هذا وسارت ووجهتها موعد اللقاء ولما بلغت باب الحديقة
رجعت القهقري كأنها ندمت على مجيئها ولم تزل على هذه الحال

مترددة ، تقدّم رجلا وتؤخر أخرى الى أن عزمت أخيراً على
الدخول فتوغلت بين تلك الاشجار الملتفة بقدم ثابتة وعزم أكيد
حتى انتهت الى الموضع المقصود فوجدته جالسا ينتظرها على أحر
من نار الغضا ، وعندما لاحت له خف للملاقاتها. ثم صافحها وقبل
شعر رأسها فاضطربت وتلصقت من يده فاعتذر وقال : لا بأس
ساحيني يا مرغريت فاني تميمس !

— يظهر لي ذلك .

ثم ضغط على يدها بعد ان سكنت طويلا وقال : اني تعب في
هذه الحياة الدنيا فلا يمكنني قط احتمال هذه المعيشة . نعم لن
تكوني قرينة لي فيما بعد فان سعادي قد انتهت كما يظهر لي
ومالت شمس الهناء والصفاء الى المغرب وأضحت التعاسة اليمني
والشقاء سميري والمذاب المبرح ألزم إلي من ظلي وذلك من يوم
انفصالك عني فمن كانت حالته هذه فموته خير له ؟ نعم
يا مرغريت انك ستكونين نظيري في التعاسة جزاء عمك هذا
ومن يعيش ير .

— أنا لا أكون كذلك لأنني لا استحق .

— كنت معي أسعد حظاً ولا يمكنك انكار هذا لأنك قد
اقررت بما أقول مراراً عديدة ولا يقوم الانكار بعد الاقرار .

نعم قد قضينا معاً أياماً ما كان أحلاها وأشهاها ولم يبق
سوى ان نتمناها .

– أنا لا انكر ذلك انما كنت أرى اني سعيدة وانت تحبني

– أنا وحقك قد أحببتك دائماً ولم افتر عن حبك قط من
عهد معرفتي بك فكوني اذا على ثقة من هذا لأن صاحب البيت
أدرى بالذي فيه .

– لو كنت تحبني لما مالت نفسك الى ارتكاب الخيانة ومخالفة
شروط المحبة .

– رأيتك أليفة الأحران والأشجان على فقد ايثون تنوحين
وتمولين آناء الليل واطراف النهار وهذا مخالف لطبيعة الرجل
على خط مستقيم وقد سئمت نفسي طول البكاء والأنين فجرى
ما جرى على غير ارادة تامة مني .

وفي غضون ذلك كانت مرغريت صامته تفكر بمعاملة روجر
لها وكيف انه وقف حياته وأوقاته وأثمن ما بين يديه لأجل
مرضاتها وسعادتها مع ان ألبير هذا قد ذاقت في ايامه كؤوس
العذاب أشكالاً وألواناً ويصعب عليها ان تنسى كل ذلك ثم رفعت
رأسها وقالت :

قد اتممت وعدي اليوم وأتيت الى هنا لأنني أقسمت بابنتي

ايثون لكفي لن أعود بالمستقبل الى ذلك وها أنذا استودعك الله
قالت هذا وهمت بالانصراف .

– اعيريني أيضاً نظرة واحدة أما آخر كلامي معك فهو :
اني كما قلت لك اذا شئت ان تريني فأنا في كل مساء هنا واذا
أردت يوماً ما ان تري رسم .. ايثون .

– رسم ايثون ؟

– نعم .

– واين هذا الرسم ؟

– عندي وأما مكان سكناي فهو بيت والدتي القديم حيث
لا يأتي إليّ أحد ، فتعالى يا مرغريت هلمي وانظري صورة
ابنتك ايثون ..

والآن استودعك الله ثم ذهب لايلوي على شيء . أما مرغريت
فهمت ان تتبعه لكن قواها لم تطاوعها وجلست على مقعد هناك
وأجهشت بالبكاء لائمة نفسها على قساوتها في معاملة ألبير بالماضي
الى هذه الدرجة وكيف انها طلبت الطلاق واتخذت روجر قريباً
لها فيما بعد ، كل ذلك كان يحول بفكرها ولو لم تكن مرتبطة بسنة
الزواج ثانية ، لعادت الى ألبير لتقضي معه باقي حياتها .

الفصل الخامس

ان مرغريت لم تفكر منذ ذلك اليوم بالبير إلا نادراً وقليلاً ما كان يخطر في بالها وكانت تستخدم كل الوسائط لتسلوه ولا تبالي به وقد أخذت تزداد اهتماماً وتعتني بنوع خاص بارضاء زوجها الذي لم يأل جهداً في تكثير الأسباب لاساعدها في شؤون هذه الحياة وكانت تقضي اكثر أوقاتها في ملاعبة طفلها وملاحظة أمور بيتها .

وفي صباح أحد الأيام من شهر نوفمبر خرجت المرضع مع مكسيم حسب العادة للتنزه لكنها لم ترجع في الوقت المعين لرجوعها بل تأخرت نصف ساعة تقريباً فقلقت مرغريت من هذا التأخر واضطرب بلبالها وأخذت تحسب ألف حساب فقصد روجر أن يذهب بنفسه للبحث عنهما لأجل تسكين روعها لأنها كانت منحرفة الصحة منذ أيام وهي تتأثر من أقل انزعاج . وبينما هما يتجادبان أطراف الحديث بهذا الموضوع إذا بالمرضع حاملة

مكسيم على ذراعيها وهي تلهث تعباً لأنها كانت تمشي بسرعة
فقال لها مرغريت : قد قلت لك غير مرة ان لا تتأخري في
الرجوع عن الوقت المعين لك ومع ذلك فقد تأخرت اليوم نصف
ساعة فاشتغل بالنا فيما سبب تأخرك هذا ؟

نسيت ساعتى هنا يا سيدتي فأرجو منك المذرة هذه المرة
وفضلاً عن ذلك اني صادفت رجلاً في الطريق استوقفني
بسبب ملاحظته مكسيم وقد ظهر لي انه يحب الأطفال كثيراً .

— ومن هو هذا الرجل ؟ وتبادر إلى ذهن مرغريت في
الحال انه هو ألبير فاكفهرّ وجهها . فقال لها روجر: لا تعكري
صفاء مزاجك يا عزيزتي ثم قال للمرضع وأنت من صادفك
بالطريق ؟

— لقيت رجلاً لابساً ثياب حديد وهو كثيراً ما يلاعب
الأولاد الصغار ويلطفهم وقد سألتني بنوع خصوصي عن عمر
مكسيم وأحواله وأظن انه فاقد ابناً له !

— مهما كانت حالته فلا يلزم أن تكلمي أحداً بالطريق من
الآن فصاعداً لا سيما الذين لا تعرفينهم .

— أنا لا اكلم أحداً حتى الذي أعرفه ولكن هذا الرجل هو
الذي استوقفني وتكلم معي وبدأ يلاعب الطفل مظهرأله سائر

أنواع الملاطفة فأراني والحالة هذه لم أقترف إثماً ولم أجن ذنباً ثم
خرجت مقطبة الوجه .

— لا أهمية لتأخرها هذا يا عزيزتي مرغريت وكثيراً ما يحدث
ذلك في كل زمان ومكان ولا بد من أن يكون كلامها صحيحاً
وان ذلك الرجل توفي له حديثاً ولد من عمر مكسيم

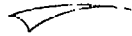
— أفهم كل هذا ولكن قصدي أن لا تكلم أحداً بالمستقبل
لأن الآداب توجب على الانسان ولا سيما المرأة أن تكون في غاية
الاحتشام كما لا يخفي عليك

— لا فض فوك ونعم الرأي رأيك. ها اني أراك قد تمافيت
من الزكام وملكت تمام الصحة التي هي أعلى من كنوز الأرض
عندي فاذا كان الجو نهار غد صافياً فلا بد من الخروج للتنزه .
وفي أثناء ذلك دخل الخادم وبيده رسالة برفية باسم روجر
يطلب بها مرسلها من الدكتور روجر الاهتمام ببعض الشؤون
فخرج على الفور وعلى أثر ذلك دخلت الممرض إلى قاعة الطعام
وهي لم تزل مقطبة الوجه متممة ، فأجلست الطفل بالقرب من أمه
وأحضرت له الطعام قائلة في نفسها : يظهر انه لا ثقة لهم بي فأني
شيء ارتكبت من سوء الأدب يا ترى ؟

— صادفت رجلاً بالطريق فسألني باهتمام عن عمر الولد وبما
ن الآداب تقضي علي بمجاوبته جاوبته ولا أراني مخطئة في ذلك.

— ما مضى قد مضى دعينا من هذه القصة . الآن اذهبي لاتمام
شغلك كما كنت أفهمتك .

وكانت يد مرغريت تنتفض انتفاض العصفور بالله المطر
عندما كانت تلقم الصغير لأنها فهمت من كلام الموضع ووصفها بأن
الرجل هو ألبير بعينه فغلت مراجل الشوق والهيام في قلبها
وتساقطت دموعها الغزيرة وحنّت إلى ألبير حنين الظمآن إلى
الماء والعليل إلى الشفاء ثم ضمت ولدها إلى صدرها وانهالت عليه
بالاثم والتقبيل أكثر من عاداتها .



الفصل السادس

ان حال مرغريت قد تغيرت تغيراً كلياً منذ أخبرتها المرضع بأن رجلاً صادفها في الطريق وعادت لا تذوق الراحة ولا طعم الكرى لأن ذكر البير لازمها ملازمة الظل وفي أكثر الأيام كانت تخرج للتنزه مع المرضع ومكسب على أمل أن تصادف بغيتها وغاية غاياتها غير انها لم تجد له عيناً ولا أثراً مع انها كانت تكثر من التردد إلى الحديقة المذكورة . وفي ذات يوم خطر في بالها بعد أن عميل صبرها تسأل المرضع ألم تنزل تصادف الرجل المذكور فأجابتها بأنفة :

— نعم أجده مراراً لكثي كل مرة ألمحه عن بعد أسير في طريق آخر حتى لا ألتقي به ولولا ذلك لكنت حضرتك تقولين اني أنا التي افتش عنه لأستميله إلي . قلت والشيء بالشيء يذكر ان اللواتي يرمن استألت إليهن كثيرات من ذوات الجاه والوجاهة والجمال الرائع ولعمري اني لا أصلح ان أكون خادمة عندهن و يظهر لي أن الرجل جدير بالاعتبار حري^٤ بأن يكون من رجال

الأعمال المهمة ولا يخطيء ظني لأنا نرى غالباً أن المنظر دليل على
المخبر .. ولكن يا ليت صحته أحسن منها الآن فانه ضئيل
الجسم نحيفه .

كانت تقول ذلك وهي تزعم بأنها تعرف الفراسة وقراءة
الأفكار إذ أنها لم تصف الرجل وما هو مفطور عليه من وفرة
ذكاؤها وحسن ادراكها وكانت تنتظر تعجباً وعلامة استحسان
من سيدتها مرغريت لكن هذه ظلت صامتة لا تنطق بكلمة ولا
تبدي اشارة سلب ولا ايجاب على ان ما فاهت به المرضع كان
يخرق فؤادها كسهام نارية وكادت تجيش بالبكاء لو لم تضبط
نفسها بعد الجهد الجهد .. ولما خرجت المرضع من الحجره
طفقت تفكر في هيجان بالها واضطراب بلبالها وما تلاقيه من
العذابات المبرحة لدى تذكرها ألبير فوطدت النفس على ان تبحث
عنه في كل ناحية وصوب لتراه ، إطفاءً لقليل اشواقها التي كادت
تذهب بحياتها بيد أن عزيمتها فترت عندما تمثلت ناظرها أمانة
روجر وحبه المقرط لها فصعب عليها اذا ان تخون من يحافظ على
الأمانة لها أشد المحافظة ولا يزال يبحث عن أسباب سعادتها
ورفاهيتها .

ان مرغريت افتقرت عن صديقاتها وانفصلت عن صواحبها
من عهد زواجها بروجر ولهذا أخذت تشعر يوماً بعد آخر بضجر
الوحدة وصعوبة الانفراد فملت هذه العيشة . مع انها في مدة

اقامتها مع ألبير كانت قد اعتادت على مبادلة الزيارات والاجتماعات البيتية والرغبة في اللبس والتبرج والتزين بأنواع الحلى الثمينة . ومنذ اقترنت بروجر رغبت عن كل ذلك واستقلت بذاتها استقلالاً تاماً اجتهدت ان لا تلتقي بمن يعرفها خوفاً من تجديده جراحها العميقة وذكر الأيام الماضية .

أما الدكتور روجر فانه كان ميلاً جداً الى هذا الاستقلال ويستحسن جسداً عشرة مرغريت ومحادثتها ولذا لم يكن يخالط أحداً من الناس غيرها إلا في النادر وعند الضرورة الماسة . وكان والداه وشقيقته المتزوجة بأحد ضباط العسكرية يقطنون في جهة بعيدة عنه وأخوه البكر كان مهندساً يسكن في ضواحي باريس مع زوجته وأولاده وبما أن المسافة بعيدة كانت المواصلات متعذرة إلا مرات قليلة في أثناء السنة .

لكن في إبان الربيع كانوا يتزاورون على رغم البعد وكانت مرغريت تحب سلفتها وأولادها الثلاثة ، وهذه لم تكن بأقل محبة لها ولمكسب الصغير وكانتا تجلسان وتتجادبان أطراف الحديث أوقاتاً طويلة تقضيانها بأرق المعاشرات والطفها .

فعل هذا الأسلوب كانت حياة مرغريت ، أي بين تدليل زوجها وعبادته لها وقبلايتها اللذيذة الحلوة لولدها مكسيم وبين حنو اسرة روجر عليها واحترامهم لها وملاطفتهم اياها الى ان

جمعها الاتفاق بالبير في ذلك المساء كما تقدم ذلك في حينه . وهي
تهتز شوقاً وتحن حينئذ الى ذكر أيام تقضت ما كان أحلاها
وأشهاها .

وفي أحد الأيام عندما ضربت الساعة الخامسة هتفت بصوت
عال من غير انتباه : لا بد لي من أن أراه ولي الاختيار العام
بذلك ان روجر لا يسألني أبداً عن ذهابي واياي وألبير كان
زوجي واني لأحبه حباً مفرطاً فما المانع لي . .

نهضت في الحال وذهبت مسرعة الى المكان المهود إذ لم
تستطع أن تصبر أكثر من ذلك ولم يكن سوى القليل حتى
وصلت إلى المعهد .



الفصل السابع

اعتادت مرغريت أن ترى ألبير من وقت لآخر ويكون موضوع الحديث معه ايشون وبما أنه كان منكسر القلب ملازم الوحدة والوحشة وتخفف أحزانه بمذوبة كلامها وحسن مسيرتها وأما ألبير فكان أطوع لها من بناتها لا يخالفها بشيء وينتظر أوامرها انتظار هلال العيد، وجل القصد من معاملته هذه صيدها بجائله واستجلاها اليه ثانية . وفي مساء احدى ليالي ديسمبر الباردة قال لها وهما يتجاذبان أطراف الحديث بعد ان سعلت سعالا شديداً : لا أريد ان تأتي الى هنا فيما بعد فان البرد قارس لا يحتمل ! فقالت باضطراب وكيف نلتقي؟

فرمقها بنظرة معنوية لوحدثت في الأيام الأولى لألقت بنفسها بين ذراعيه وكانت تنتظر الجواب من فيه فخاب أملها !

ثم قال لها برزانة : هل لك بي من ثقة ؟ فلم تقدر أن تجيبه ولكنها اشارت برأسها : نعم .

— ان صورة ايثون عندي فيمكنك ان تأتي وتنظرها متى
سنحت لك الفرصة .

فأطرقيت طويلا وأحاطت بها الهواجس والأفكار المزعجة
احاطة السوار بالعصم ثم تأملت في أنه كيف يحسن ان تدخل
ثانية تحت سقف بيت ألبير ولو دقائق يسيرة ؟

وعندما تيقنت ذلك وتصورت ابنتها في ذلك البيت اقشعر
بدنها وشعرت بأن الأرض ترتج تحت قدميها وظهر لها ان
الاشجار تجري وجميع النباتات تدور وكأنما الكون قد انقلب
ومناظر الطبيعة تغيرت أمام ناظرها وبينما هي كذلك قالت على
غير انتباه نعم سأذهب وأرى ايثون !

غير انها بعد أن لفظت ذلك كنت تراها غارقة في بحر من
الأفكار والهواجس المؤلمة ، وكانت كأموج البحر يلاطم بعضها
بعضاً ، وعيناها تمثلان أمامها صورة ذلك الوجه المحبوب الذي
كان لها في الماضي وهو ليس لها الآن . ثم انها ذكرت انها
اقسمت وابنها على ذراعها على أن لا تعود الى التفكير في ألبير
ومع ذلك حدثت بيمينها .

فيأترى ألم تكن تحب مكسيم؟ نعم كانت تحبه حباً شديداً
وقد كان يسهل عليها تضحية حياتها من أجله ولكن من جهة
أخرى كانت تظن ان ألبير هو أكثر ضرورة لحياة قلبها من

مكسيم ولدها . والحالة هذه ان كانت لا تخاف الموت حباً
بمكسيم فأنها من جهة ثانية لا تطيق الحياة وهي بعيدة عن
ألبير .

فمن يا ترى في هذه الحياة الدنيا يشفق على هذه النفس
المسكينة ويساعدها كي تنتصر على حبها وتتخلص من هواجسها
المضنية التي تحاربها ليلاً ونهاراً ! ! من هو الذي ينجيها من
شعورها ويبعد عنها آلامها التي تعذبها كثيراً ! من ذا يضمد كلوم
قلبها بتلك المرامم الشافية !

فتبالك أيتها الدنيا الخادعة وتعسا لك ايها الدهر الخؤون
بأمله !

بكت مرغريت بكاء مرأً وتنفست الصعداء مراراً وألبير
يطيب نفسها .

ولعمري انه الأولى بالتعزية والأجدر بالشفقة والمرحمة لأنه
كان بجالة يرثى لها لا تنفع فيها تعزية فحري به أن يبكي وينوح
على حياته التي كانت مفعمة من الصفاء والهناء فأضحت مقرونة
بتراكم الحزن والعناء !

الفصل الثامن

في ذلك المساء أصيبت مرعريت بحمى شديدة وعسر تنفس
كادا يذهبان بحياتها ولم تعلم والدتها بذلك إلا في صباح الغد
فأسرعت هذه الى حجرة ابنتها لتفتقدها وتعتني بتمريضها .
وبعد أن عاهدت على نفسها ان تحمل أعباء ذلك أظهرت لصهرها
كدرها العظيم وقالت على مسمع منها : أنها لعنيدة جداً . هي
تعرف حق المعرفة أنها ضعيفة وصحتها منحرفة وأن مزاجها
اللطيف لا يحتمل شدة البرد والحر ومع هذا وذاك فلا تبالي بل
تخرج من انأوى زمن وقوع الثلوج والأمطار .

فقال روجر يعذرها : ان الزكام في هذا الفصل يحدث على
رغم التحفظات والاحتياطات لأن حال الجو رديئة تصب الزكام
وباقى العلل صبا .

— اني لا أعتقد صحة القول فعليك أن تأمرها بأن لا تخرج
في مثل هذه الأوقات كما أن عليها الامتنال لأمرك . انها توالي
الخروج منذ أسبوع كامل !

– الآن يجب ان نهتم بمعالجتها وتمريضها لا لومها وتعنيفها .
ثم دخلا معاً حجرة المريضة التي لم تبسّم لهما ولم تعرهما جانب
الالتفات مع أنه خاطبها قليلا فلم تجبه متظاهرة بأنها نائمة فلم
يبطيه ان خرج لعيادة مرضاه بعد ان أوصى أمها بالتعليقات
الضرورية أما هذه فسألته بعد أن رافقته الى الباب : لا تكترث
بنا كأننا مسسنا احساساتها بأمر ما .

– لا بأس بذلك فان هذا من آثار الحمى وأنا سأعود بعد
قليل .

ان الدكتور روجر لم يضطرب من مرض زوجته لأنها لم
تزل في عنقوان صبايها ، وهو ، هو نفسه يعالجها ومع ذلك كان
يشعر بغصّة في صدره فقد شعر بعدم اكتراث مرغريت به بعد
كل ما أبداه لها من علامات الحب والاحترام كما أنه لسلامة قلبه
نسب هذا الفتور الى شدة الحمى مع أنه كان يشعر أثناء ذلك بغم
داخلي ضاغط على قلبه وسائر أحشائه وكان يخشى أن ترغب عنه
وتقرع سن الندم على قبولها إياه بعلا . ولو لم تحرضه وترغبه
امها لما أقدم على طلب يدها فانه مع فرط حبه لها لم تكن
مخلصة له حبها كل الاخلاص وعندما كان يجالسها يشعر بنوع من
الانقباض . كان فؤاده يتلهب حينئذ اليها لكنه لم يجسر قط أن
يظهر لها جميع عواطفه . وكثيراً ما كاد يترجم عن احساسات

قلبه وما يكنه فؤاده من الولوج والوله بها لكنه يلجج لسانه عن
التقوه ولو بكلمة واحدة أمامها . نعم أن كل ما يفعله المحب
لسعادة وهناء زوجته فعله روجر، بل زاد عليه أضعافاً ومع ذلك
لم يتمكن من التوصل الى امتلاك قلبها .

نعم طالما خطر على باله ألبير زوجها الأول وكان يشعر
بقرب وقوع الخطر . وسأل نفسه يوماً عما إذا تلاقيا اتفاقاً ماذا
يصنعان هل يحوّل الواحد منها وجهه عن الآخر غير مكترث
بملاقاته ولا ذاكر تلك الأيام التي تقضت .

ان روجر مع ما هو عليه من حدة الذكاء والفتنة لم يقدر
ان يجيب على هذا السؤال ! لكنه من هذا وغيره علم بأن سعادته
ان هي إلا وقتية سريعة الزوال وان بيته مبني على الرمل .

واذ كان الدكتور روجر من ذوي الرزانة والعقل الراجح
رام ان يشغل افكاره بتغير ذلك فذهب الى عيادة مرضاه وكان
يصغي الى وصف أعراض العلة من فم المريض بكل تأن وانتباه
أكثر من العادة قاصداً بذلك ملاحظة مومته وإبعاد غمومه بإشتغاله
بأمراض غيره وكان في الساعة المعينة يرجع الى مسكنه ماشياً
بدلاً من ان يركب حسب عاداته وذلك ليسرح نظره ببعض
المناظر التي يصادفها في طريقه . وفي أحد الأيام رأى وهو سائر
امامه مركبة تجري بألبير وكان وقوع نظر الواحد منها على

الآخر كوميض البرق فتوقدت في قلب كل منها نار محرقة دونها
جر الغضا . وان هي إلا لحظة حتى قال روجر في نفسه : سأبدل
نفسي في سبيل حفظها لي حتى آخر نسمة من الحياة .

اما ألبير وقد التهمت نار الغيرة في فؤاده افسم في نفسه قائلا:
والله لأسترجعنها ولو كلفني ذلك فقدان حياتي .



الفصل التاسع

عندما شفيت مرغريت شرعت امها تؤنبها على قلة مداراتها لصحتها وعدم الاعتناء بها وكانت تكرر ذلك كثيراً على مسامعها ومرغريت لا تصفي اليها شيئاً . وفي بعض الأحيان كان روجر داخلاً فسمع زوجته تقول : كفاني كفاني ما سمعت منها .

فبادرتها امها بالدفاع عن نفسها مؤكدة لها انها لا تقصد سوى خيرها لأن الحب الوالدي يدفعها الى ذلك حياً براحتها الخ. لكن روجر غير موضوع الحديث وقال. دعينا من هذا الجدل يا عمي فإن مرغريت لم تزل ضعيفة، قال هذا ودنا منها مستعلماً عن احوال صحتها فلم تقابله بوجه باش ومع ذلك جالس بالقرب منها معتنياً بأمرها غاية الاعتناء وبعد ان جس نبضها قال مسروراً : لقد تعافيت وعادت صحتك الى حالها الاول فالحمد لله على السلامة . فقالت امها هامسة . قد حصل لها ضعف آخر . فقال ان كان ذلك صحيحاً فهو من آثار الزكام . ثم قالت الأم لروجر بما انك هنا يمكثي ان اذهب لأغذي مكسيم .

- عودي الى هنا يا والدتي .
- سأرجع بعد بضع دقائق .
- ويلاه الى متى يجب ان أحبس هنا فقد ضاق صدري
يا روجر .
- ان خروجك يا مرغريت يتعلق بجودة احوال الجو لا
بإرادتي كما لا يخفى عليك وهل تعلمين بماذا افكر .
- لا اعلم قل لي اذا شئت .
- مرادي ان امضي بك الى جهة الجنوب .
- وماذا يا ترى افعل في جهة الجنوب ! لا . لا بل أفضل
البقاء معك هنا . ان مرغريت لم تتعلق بقولها هذا إذ انها كانت
تعلم حق العلم ان روجر هو سندها الوحيد .
- كوني على ثقة بأني ذاهب معك .
- ولمن تترك المرضى الذين تعالجهم .
- اني اوصي بهم احد اصحابي الاطباء .
- لا بل أفضل البقاء في العاصمة باريس .
- عليك ان تطيعيني يا مرغريت بما اني انا الأمر وصاحب
البيت !

قال هذا باسمياً . فصمتت وحدثت به طويلاً .

– والحالة هذه ينبغي ان تغادري العاصمة .

– ان كان ذلك كذلك فأنا مريضة جداً والسفر يتعبني .

– اما الآن فانك تعافيت ولست مريضة . ولكن من الممكن ان تداهملك علة ما، وذلك مما يكدر صفاء عيشي يا عزيزتي فأريد اذا ان اتخذ كل الاحتياطات الواقية فكوني على ثقة من ذلك إذا .

– اني لا اشك في حبك لي يا روجر ولكن لم تكلمني بهذا اللحن والنعمة الجديدة .

– ان حياة الزوجين يجب ان تكون مرضية وسعيدة ذات صفاء وهناء لا يكدرها اقل شيء البتة ولعمري ، ان ذلك لا يتم إلا بمبادلة تمام الثقة بينها وينبغي على كل منهما من باب الوجوب ان يفتح قلبه لرفيق حياته هذا ويطلعه على ما يسره ضميره في السراء والضراء كاشفاً له أعماق قلبه ونو شعر على نوع ما بالم من هذا الاقرار .

عندما سمعت هذا الكلام حدثتها نفسها من أنه عارف بوجود ألبير في العاصمة ولهذا قالت : حتى الآن لم أفهم شيئاً سقمها معنى هذه الألغاز يا ترى !

– لقد تعذبت ايتها العزيزة في ما مضى وقد آليت على

نفسى ان ابذل مجهودي في ان أنسيك ذلك وقد يعسر لسوء
الخط محو ذكر الأيام الماضية المحزنة في هذه الحياة الدنيا ثم اني
لنأكد انك تنقبضين ولو قليلا متى علمت بوجود ألبير في العاصمة
بل أنا قد رأيته رأي العين وبما اني شريكك في الآمك يجب
التجنب كل ما يسبب لنا انفعالا .

وعند سماعها ذلك امتقع لون وجهها واصفرت شفتاها وشمرت
بضيق في صدرها بعد أن دمعت عيناها فدنا منها روجر واخذ
يديها الباردتين بين كفيه .

— لا يحق لي ان اتكدر من دموعك هذه عند ذكر ذلك
الرجل ، المعروفة صفاته حق المعرفة وأنت أعلم بها مني أما
رجوعك إلى الورا فم هو من رابع المستحيلات . نعم لقد اصبحت
لي وخاصتي ونحن الاثنان لسنا سوى واحد وما ألبير إلا خيال
نظرته في ماضي حياتك . كما انك لا تستطيعين أن تنسيي إلي
القساوة والظلم وسوء المعاملة بهذا القول . فوحقك ان ذلك لا
يصدر إلا عن حب مفرط لا نهاية له بلى وتربة ايفون !! فاذا
لا سمح الله اقتضى يوما ما ان اعلم لك عملية جراحية تقتضي
استعمال آلات الجراحة لأجل تمزيق لحماتك فلا تحسبين ذلك
قساوة مني بل تعرفين حق المعرفة بأنني اتوجع في الوقت عينه .
وفي غضون ذلك كانت دموعها تسيل من تحت جفنيها المغمضين .

— اني طبيب كما تعرفين وصناعتي قائمة في ان أوجع لكى
أشفي لكنى لا أرتضى بمعالجة جسم أزمىنت علته ان لم تكن
للعلىل الثقة التامة بى . وعلیه فان كان ذلك كذلك يجب ان
تخبرينى بأوجاعك وتطلعينى على سائر آلامك لأداوئها فانى
ابذل حياتى دونك إذا اقتضى الأمر . لم تبكين هذه البكاء
امامى ان مهجتى تذوب حناناً عليك عندما ارى دموعك .

ان مخاطبة مرغريت بهذه اللهجة التى ملؤها الحب وسائر
انواع الملاطفة والمجاملة عطف قلبها اليه وأثر فيها تأثيراً شديداً
فحاولت ان تقول باسمه :

وماذا على أن أقول ..

— ربما ترغبن فى الماضى ورجوع القديم الى قدمه . فأنا أشير
عليك بأن تميّتى هذا الفكر ولا تدعى للتذكر به سبيلاً . نعم أنا
لا استأهلك فإنك لأسمى منى وهذا لا يختلف فيه اثنان . وعندما
تزوجتك عهدت على نفسى واجبات ان اهملها ابداً نعم سأدافع
عنك حتى آخر نسمة من حياتى انظرى الى واجعلينى دائماً نصب
عينيك ولا تأملى العود الى الماضى (هنا شعر بارتعاش يدها التى
بين كفيه) قد قبلتني يا مرغريت بتمام إرادتك وكنت احبك كما
انى كنت اظنك تعيسة ..

— نعم كنت تعيسة .

– فلندع الماضي نسياً منسياً. ان ايقون توفيت فاعتبري ان
ألبير مات ايضاً فتصوري انك لن تجدي له اثرأ ولا عيناً !
فأنت أنينا يلين له الصخر الاصم لدى ذكر ذلك .

– واعلمي ان لك زوجا حنوناً للغاية قد وقف حياته على
رضائك وهو لا يحلم بسوى سعادتك ورفاهتك ونظرك اعظم
برهان على ذلك لأنك لآنك ترين رأي العين ما أفعله استجاباً لرضاك .
ان لك ولداً تتسلين به فهل نشئت شملنا بيدنا من اجل من مات .

فهمت ان تقول بأعلى صوتها : لا لم يميت الميت لا يتألم وألبير
يتألم ! فأدرك روجر فكرها لذلك قال : لسنا بمسؤولين ان
نشفق على من اساء الينا وهدم أركان سعادته بيده . فانمطافنا
عليه والحالة هذه يقع في غير محله . لم أرَ ألبير سوى لمحة بصر
لكني متأكد انه قد تغير كثيراً واصبح شاحب اللون ممتعه ..

فانتفض بدن مرغريت وقاطعته بقولها : نعم وقد رأيت .
فسك روجر نفسه وملك عواطفه وقال : حقاً إنك لمسكينة
أنت ولم لم تخبريني بذلك .

وكيف اخبرك .

– لأنه ما من ذنب لك اذا وجدته في طريقك كما وجدته أنا
مثلاً . نعم أنا أعلم وانت كذلك والناس أجمع يعلمون ان هذا
الرجل هو سبب تعاستنا ومجلبة لتكدير صفاء عيشنا .

– قالت أنا محتاجة الى الهواء وزفرت زفرة شديدة
ثم ألقت رأسها الى الهواء مغمى عليها . فتخف روجر يرش
وجهها بالماء البارد مع تنشيقها المنعشات وعندما فتحت
أعينها أخذها الى مكتبه لأنه أدفأ ووعدها بأن يسافرا معا
بأقرب وقت .



الفصل العاشر

كان الثلج يقع بكثرة من وقت الى آخر حتى ان البرد أضحي قارساً لا يحتمل فلم يعجب البير من طول غياب مرغريت وهو لم يكن ينتظر رجوعها إلا بعد مضي عدة ايام وهو كان يعرف حق المعرفة ضعف طبيعتها وانها تتسالم كثيراً قبل ان تقرر أمر زيارتها له .

أما عيشته فكانت مملوءة كدرا وشقاء وهو أليف التعب سمير الضجر نديم الأفكار المزعجة وهو اجسه لا تصور له سوى سعادته وتلك العيشة الرغيدة في ماضي الايام بين الاحباب والاصحاب وحين يأخذ به كل ذلك مأخذه ينظر حوله نادياً حظه وتكاد تخنقه العبرات لسبب تلك الوحدة التي لم يألفها .

عندما جرى ما جرى بخصوص أمر بلانش وغادرت مرغريت بيته ظن انها ذهبت الى امها لتقضي بضعة ايام ثم تسبل ذيل المعذرة عنه وتعود اليه . وكان يتذكر ما كانت تردده على مسامعه مرارا في اوقات اتحادهما وسعادتها وهو انها لا تقدر

ان تحتمل منه خيانة ولو صغيرة . واذا ظهر منه شيء من هذا
او نوع من الخداع فانها تكرمه بقدر ما أحبته ثم ان حنوها
يتحول الى قساوة عظيمة !

على انها حينما فاجأته وهو يلاطف بلانش بأرق الكلام
استحوذ عليه الحيا والحنجل وخشى عاقبة هذا الأمر ولم يأل
جهدا في استعمال جميع الوسائط الممكنة لاسترجاعها ولم
يصادف إلا الفشل وعاملته معاملة قاسية حتى التزم ان يقطع كل
أمل من جهة رجوعها . ولم يرَ من نفسه ان التذلل يليق بشخص
نظيره بل شمخ بأنفه تاركا حبلها على غارها .

وكانت بلانش خفيفة الروح حسنة الوجه مستديرته
لطيفة المعشر لكنها غير مستقيمة المبادئ ولا حاجة الى ايضاح
ذلك . .

مر أمام نظر القاريء أن مرغريت حزنّت أشد الحزن بعد
وفاة ابنتها ايثون فمادت لا تعتني بزوجها ألبير كما يقتضي بل
اطلقت العنان لدموعها واستسلمت الى الحزن المضمي وهي تمضي
أكثر أوقاتها بالبكاء والنحيب وكانت بلانش تكثر من زيارتها
لها لتعزيها وتسلي ألبير وأما مرغريت الحسنة السيرة الطيبة
السريرة ذات الضمير النقي فكانت تشكرها على حبها وتسألها
بالحاح ان تطيل الاقامة عندها . وفي أحد الأيام دعته الى
الذهاب معها الى المصيف فلبت هذه الدعوة شاكرة ولم تمض

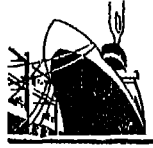
سوى أيام قليلة حتى صارت خلية ألبير ومرغريت لا تدري من ذلك شيئاً .

وبعد ان افترق الزوجان ظلت بلانش تتردد الى ألبير حياً من الدهر وبعد ذلك اختلفا وتحول الحب الى بغض وعلى أثر هذا انفصلا كل الانفصال . ولم يكن إلا القليل حتى تذكر ألبير تلك السريرة الطيبة والقلب النقي والعفاف الذي لا عيب فيه والحب المخلص والأخلاق المرضية المتصفة بها مرغريت ورام في الوقت عينه من صميم فؤاده أن تعود اليه في الحين ، وأنه مستعد ان يكفر عن هفواته التي بدرت منه عن غير قصد تام وكان يخال هذا الأمر سهلاً لمامه بحبها السابق وهو يناجي نفسه بقوله : اني مستعد لتحمل أعظم الأهوال اذا اقتضت الحال لإسترجاعها الي .

وبعد مرور عشرة أيام من اجتماعها الأخير صفا الجو وأشرقت الشمس وابتسمت الطبيعة وغردت الأطيوار على غصون الأشجار ومرغريت لم تبد طلعتها فقلقت من هذا الإبطاء فتناول القلم وكتب لها عدة رسائل ثم مزقها وضرب بها عرض الحائط وكان يكثر من الذهاب صباحاً الى البستان الذي تتردد اليه المرضع ومكسيم ابن مرغريت باحثاً مفتشاً من كل ناحية وصوب فلم يقف لهما على أثر .

وفي ذات يوم رأى والده مرغريت من غير ان تراه فتبعها

عن بعد الى ان دخلت البيت وكان عالماً بأنها تسكن في مسكن
ابنتها في الطابق الأسفل ثم دخل بعدها ببضع دقائق وصعد
درجات السلم الى ان رأى باباً عليه اسم الدكتور روجر وبعد
ان قرعه فتح له فقال : اين الدكتور روجر ! فأجابته الطباخة
فاتحة الباب : هو غائب وأظن غيابه يطول مدة شهر على
الأقل فانه ذهب منذ ثمانية أيام مع زوجته . ولم يكذ يسمع
هذا حتى رجع القهقرى وهو يتلهب غيظاً وكدرا من هذا
السفر غير المنتظر وأخذ يتنفس الصعداء حتى كادت روحه
تبلغ التراقي .



الفصل الحادي عشر

عاد ألبير إلى مسكنه ودخل حجرتة في حال يرثى لها ثم جلس وأسند رأسه بيده وجعل يفكر في أحواله المحزنة وتمثل في تخيلته مشهد اجتماعه الأخير بمرغريت وإذ تصور هزالها خصوصاً بكى بكاء مرأ لأنه لم يظهر لها أفكاره حينئذ ، وندم على تركه إياها تذهب من غير أن يستوقفها ويصحبها معه إلى بيته الذي هو بيتها أيضاً .

أما أمر سفرها إلى الخارج فلم يكن يخطر على باله قط وقد ظننا قصدت بذلك قطع المواصلات بينها وبينه .

وعلى أثر الانفصال الذي جرى منذ خمس سنوات ترك المسكن الذي أقاما به بعد زواجه وعاد إلى منزل والدته حيث اتخذ الحجره التي كان يقطنها في مدة صباه وبعد وفاة أمه بقي في البيت نفسه لأنه كان جميلاً بعيداً عن الحركة وضوضاء الناس يكتنفه بستان صغير يحتوي على كثير من الأزهار المختلفة والرياحين المتنوعة وتكسو أرضه الخضرة النضرة والأشجار التي

تفرد على أفنانها الأطيبار . وكانت ححرته مطلقة الهواء تشرف
نوافذها على البستان وعلى أرضه التي كانت تعلموها الحضرة في
أكثر الفصول .

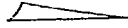
وكان قد شرع يهتم كل الاهتمام بتزيين هذه الغرفة وتحسينها
من حين وعدته مرغريت بزيارتها وقد وضع فيها شيئاً من الأثاث
والأدوات التي كانت عنده يوم كانا معاً لكي يحرك عواطفها
ويحيي في قلبها ذكر أيام ما كان أحيلاًها وعلقت في الجدران
صورة ايثون ومرغريت ووالدته .

وإذ رجع من بيت الدكتور روجر وأجال نظره طويلاً في
جدران الحجرة الأربعة وتأمل في عظيم اهتمامه وشديد اعتناؤه
بالزخرفة التي تعجب بها عبثاً زاد غمه وضائق الدنيا في عينيه حتى
كاد يفقد رشده . نعم قد اتهم بوصمة الخيانة وعلى أثرها انفصلت
عنه زوجته متخذة آخر بدلاً منه وفقد ابنته ثم توفيت أمه
ولا شقيق يحن عليه ولا خليل يميل إليه ولا صاحب يسكن لوعته
ويحمد حرقة فتراه قد أصبح شريداً طريداً يندب سوء حظه
ويبكي على أيامه الماضية .

وكان بعد أن اجتمع بها في المرة الأخيرة انتمش فؤاده
وحييت آماله وشعر بأن لا طاقة له على العيشة بدونها ولا
اصطبار على الافتراق عنها ، وعليه فلم يقنط من استرجاعها .
وقد طالما قرع سن الندم على تركه إياها تقترن بروجر وكاد في

بعض الأحيان يتميز من الغيظ والغيرة عندما يحصر أفكاره وتزيد
هواجسه مفتكراً كيف ان مرغريت تقيم مع روجر وتسافر
معه حيث اتجه وتسير مستندة على ذراعيه وهو ، هو زوجها
الحقيقي لا روجر . الذي لا يقدر أن يكلمها كلمة واحدة ولا أن
يكاتبها حتى لا يحق له أن يراها وهذا حال الزمان والدمر بالناس
قلب .

نعم ان ألبير لو وجد روجر في البيت عندما ذهب إليه
لهجم عليه وقبض بيده على عنقه وخنقه انتقاماً منه شافياً
غليل غيرته .



الفصل السّاني عشر

ان مرغريت اشتهدت ورغبت من صميم فؤادها بأن يكون
روجر مانماً حصيناً بينها وبين أليير ولذا تراها أطاعته متقادّة
لمشوراته بكل هدوء وسكينة .

وقد أقاما بضعة أيام في مدينة كان الشهيرة بجبال سمانها
وحسن هوائها ورنق مناظرها الطبيعية وأما صحة مرغريت
فانها قد تحسنت تحسناً بيّناً . كيف لا وروجر قد جعلها موضوع
أفكاره وقيد هواجسه يعتني بها اعتناء الأم الحنون برضيعها
يعطف عليها ويميل إليها ويلطفها غاية اللطافة كأنها ابنة صغيرة
وهذه المعاملة الفائقة الوصف أثرت في نفسها تأثيراً شديداً وكانت
تشعر بامتنان فائق لا تستطيع أن تكافئه عليه ما دامت حية
ولم يكن إلا القليل حتى فارقتها تلك الهموم والنعوم ونسيت
تلك الأحزان السالفة ولم يعد يزعجها بعد ذلك أليير ، ولا كل
ما يتعلق به ، ولم يحل لها سوى الإقامة بقرب زوجها وروجر وطلب
السعادة بمساكنته .

لم يخطر على بال روجر أن زوجته هذه اقتربت من ألبير وكلمته وقد كان يظن انها صادفته بغتة في الطريق نظيره ولأجل ذلك لم يخامرهم حقد أو غيظ منها نظراً لما أظهرته من التأثيرات لدى ذكر ألبير بل ان ذلك الانفعال الطبيعي دلالة صريحة على رقة شعورها وطيب قلبها ولما رأى انها مالت إليه كل الميل سر غاية السرور وزاد اهتمامه وفاق ولوعه وهيامه بها حتى انه جعل كل أوقاته وفقاً على خدمتها وملاطفتها .

أما مرغريت فإنها قدّرت محبته حق قدرها وزادت ثقمتها به ولهذا أرادت أن تطلعه على مكنونات فؤادها وكل ما حدث لها مع ألبير . ففي إحدى المرات بينما كان الحديث جارياً بينهما والموضوع موافقاً وجدت فرصة ملائمة لإخباره فقالت : أريد الآن أن أخبرك ... عندما لفظت هذه الكلمات ظهر على وجهه اضطراب عظيم وارتجف بدنه ولم يقدر أن يضبط نفسه وقال بماذا تخبريني : فعدلت عن عزمها الأول وغيرت معنى الجملة بشيء آخر ، وعلمت منذ تلك الساعة انه يصعب عليها جداً أن تخبر روجر باجتماعاتها بألبير ، مع انها كانت تود أن تكون له معرفة تامة بها ، لأنه أدرى منها بكل المشاكل وتذليل الصعوبات ، وكانت من حين زواجها به تشرح له أفكارها وسائر عواطفها إذ أنها كانت متحقة حبه الثابت الذي لا يتزعزع لكنها لم تجسر على التكلم في هذا الموضوع البتة .

ان روجر على أثر اقتارانه بها لم يطلب منها حباً لأنه كان

عالمًا بهمومها وأحزانها فلا معنى لتكليفها الحب حينئذ لأن قلبها مشغول بغير شيء، ولكن كان في أثناء السفر يجتهد غاية الاجتهاد في اكتساب قلبها بكليته واشتهى أن تحبه كما يحبها وخلق عنه ثوب الإرتباك وأظهر لها من الجرأة والقوة ما لم تكن تعهده فيه قبلاً فسلكه هذا صدها عن المداخلة في مثل هذا الموضوع .

ان مرغريت كتبت مراراً إلى والدتها تخبرها بوفرة انشراحها وفرط سرورها وما هي عليه من حسن الحال وصفاء البال مادياً وأدبياً . وذلك مما لا جدال فيه فإن سرورها في تلك البقعة انساها كل ما كان يزعجها ويقلقها ناهيك عن بقعة قد اشتهرت بمناظرها الطبيعية الفتانة فاعتدال الهواء وصفاء السماء وزرقتها ونقاءها وبهجتها وجمال الاقن الذي يسحر الأبواب ويسببها حيث تحته البحر المتوسط الذي تتكسر أمواجه على تلك الشواطئ التي تأخذ بالعقول كل مأخذ، هذا فضلاً عن جمال مناظر ما يجاورها من الجبال والاكام الخضراء التي مجرد رؤيتها يجيي القلوب المنكسرة وكانت مرغريت تشعر بأن قلبها يتسع وينفتح رويداً رويداً حتى يكاد يحتضن الفضاء وزرقة القبة الخضراء .

وكانت في صباح كل يوم تسير مع روجر على شاطئ البحر حيث تصادف بانعات الأزهار المختلفة الألوان والأشكال فتشتري منهن باقات ذات روائح عطرية تنعش القلب وبعد سير ساعة من الزمان تعود إلى الفندق مستندة على ذراع زوجها وكانت عندما

يعرب لها عن شعائر حبه تصفي إلى كلامه باسمه وتميل بكليتها إليه ثم تشكره شكرياً جزيلاً على هذه الاحساسات الشريفة .

وفي ذات يوم سمعت من بعض الجالسين نبأ المقامرة التي تجري في ملعب مونتي كارلو الشهير فقالت على الفور لروجر : وأنا أيضاً أرغب في الذهاب إلى هناك لأجل المقامرة . إذ أنها كانت تشعر من نفسها باحتياج إلى التنقل من مكان إلى آخر لتغيير المناظر الجديدة على توالي الأوقات وفي أثناء ذلك اليوم كانت تحدث روجر بالمقامرة ومونتي كارلو والذهاب بأقرب وقت والربح وما يتعلق بذلك والخلاصة لم يدر في خلدما ذلك اليوم سوى المقامرة ومكانها . أتظن اني أربح يا روجر .

– إذا كان الربح غاية متمناك فليكن لك ما تشتهين !

– لا أقول لك أن ذلك غاية مشتهاي لكنني أسألك ماذا تظن بذلك لعلني أكون صاحبة بخت فما هو اعتقادك .

– اعلمي يا عزيزتي اني لسوء الحظ لست موسى ولا حزقيا ولا ايليا فلا تكلفيني بأمر النبؤات فإني عاجز عنها .

– لكن يحلو لي أن أمتحن البخت والنصيب ألا يلد لك ذلك

– لا . ان ذلك ليس من رغبتني ولا يحلو لي .

– بالحقيقة يا روجر ان أخلاقك غريبة وطباعك عجيبة

أقول لك بكل حرية انك لست من أهل هذا العصر !

فامتعض روجر من هذا الكلام ولم يحجر جواباً بل قال لها انه
آسف على هذه الأوقات العزبة التي بها لا يقدر أن يفارقها ولا
دقيقة واحدة .

فأجابته مرغريت بمثل كلامه .

— أصحيح ما تقولين .

— وهل تستغرب ذلك أو تشك فيه .

فاعتقد روجر إذ ذاك انها تبادلته الحب .



الفصل الثالث عشر

في صباح سفرهما الى مونتري كارلوم يتكلم روجر سوى
كلمات قليلة دون تبسم أما هي فكانت بعكس ذلك غير انها
انقبضت فيما بعد عند ما رآته لا يشاطرها انبساطها وابتهاجها
ولذلك فكرت في أثناء هذا السفر على رغبتها في ألبير وهشاشته
وبشاشته ومزاحه وعند بلوغها المكان المقصود قالت له : ها قد
افقت من نومك فالحمد لله !

فأراد روجر ان يضحك ليسرها . وبعد تناول الطعام
صعدا على سطح عال يكشف على الجهات الأربع حيث تنجلي
للناظر بهجة الطبيعة وجمالها البديع فهتفت : أنظر ما أبدع هذه
البقعة وما أجمل هذه المناظر .

وكانت تنظر الى جميع المارين من الجنسين وتسمر إذ تراهم
سائرين ازواجاً إذ تعتقد انهم أحباب وتقرأ في عيني كل شخص
ما يجول بخاطره من حب المال .

ثم دخلا محل اللعب الرحب بهذا المقدار وجالا في جهاته الأربعة ينظران الى اللاعبين الكثيرين وبعد ذلك جلست مرغريت ووضعت قطعة ه فرنكات على اعداد فرجحت وهكذا ظلت تلعب مدة ساعتين وروجر بالقرب منها لايفارقها فرجحت رجحاً وافراً دون خسارة فلس واحد . وقد سرت سروراً عظيماً ليس بالنظر الى المال لأنها ذات غنى وافراً وهي لا تحب الحصول عليه بهذه الطريقة بل لأنها قويت على البخت وغلبته . وبعد ذلك بمدة غير يسيرة قال لها : ألم تكثف يا مرغريت ؟

— نعم قد اكتفيت وها قد رجحت أيضاً مقداراً أكثر من الأول فتخذ هذه الدراهم عني قالت هذا وهي تفتخر بحظها ونصيبتها . ثم حانت منها التفاتة على حين غفلة فرأت صديقتها بلانش القديمة واقفة بالقرب منها ناظرة اليها وهي تبسم فذكرت مرغريت ذلك الشقاء الذي سببته هذه المرأة لها وتأملت في ابتسامتها فاذا هي ابتسامه ازدرء ثم مرت امامها واضعة يدها على خصرها وهي تجر ذبول التيه والاعجاب ولا تسلم عن الروائح العطرية التي كانت تفوح منها فانها قد ملأت المكان على رجليه وكان نظر مرغريت يتبعها مراقباً حركاتها وسكناتها وما هي عليه من التبرج المفرط . واذ بلغت جهة مقابلة لمرغريت استوقفها أحد اصدقائها وبعد ان تبادلوا الكلام وقتاً وجيزاً

التفت هذا الشخص صديقها الى جهة مرغريت ففهمت هذه بأن محور الحديث يدور عليها ، وبأسرع من لمح البرق مسكت بيد روجر قائلة : اخرج بي حالا من هنا دون ابطاء !

– الحمد لله على حسن النهاية فلنخرج ، اما مرغريت فانها استشاطت غيظاً وغضباً وامتقع لونها ولم تقدر ان تملك كدرها وحينما وصلا الى خارج المحل سألت روجر هل رأى تلك المرأة .

– وأي امرأة تعنين اني لم أرَ امرأة فدعينا من كل هذا وتعالى نذهب الى ذلك البستان الأخضر الذي نراه في تلك الجهة ونجلس تحت ظل أشجاره .

– نعم سر بي حالا الى هناك فاني أظوَع لك من بنائك فلا أقدر ان ابقى هنا ولا دقيقة واحدة خوفاً من ان أرى تلك الملعونة مرة ثانية .

– كوني مطمئنة لن تريها بعد . وعندما انتهيا الى البستان الذي يقصدانه جلسا حيث لا تراهما عين . ثم ما هي إلا هنيهة يسيرة حتى هطل الدمع من عينها بكثرة وجعلت تبكي متذكرة حياتها المرة نادبة سوء حظها وهي تتمثل عذاباتها وسائر آلامها أمام عينيهما وعبراتها كسيل مدرار وروجر لا ينبس ببنت شفة بل لزم السكوت لعله ان الكلام لا يجدي نفعا في مثل هذا

الوقت . وبغضون ذلك كان يرى ان الحيل قد ضاقت به وعييل
صبره ولم يدع واسطة إلا استعملها اكتساباً لرضاها وجعلها
سعيدة وذلك لكي يعيشا عيشاً هنيئاً ذا صفاء وهناء .

وبعد ان تعبت من البكاء وخارت قواها وضعف عزمها
اسندت رأسها على ساعده وجعلت تمسح دموعها الكثيرة وهو
ساكت كالأول .



الفصل الرابع عشر

ان مرغريت كانت تعتبر ان سكنها مع رجل ووجودها تحت سقف بيته قبل أن يموت زوجها الاول هو من أشد العار واقبح الهوان عليها أمام بلانش . وهذا الفكر أي انها ذات زوجين كثيراً ما كان يعذبها ويكدر صفاء عيشها إذا وجد لديها فيه صفاء وهناء ويدع في قلبها جرحاً بليغاً بل جروحاً قتالة وقد ادرك روجر حق الادراك جميع ذلك وجعل يراقب حركاتها وسكناتها ويقرأ افكارها بسهولة الى ان قال في نفسه آخر الأمر : ان السكوت لا يصلح إلا في بعض أوقات والصمت في غير وقته يكون ضرراً محضاً وهذا لا جدال فيه بل هو أمر لا يختلف فيه اثنان وحيث ذلك كذلك لا بد لي من ان احادثها بهذا الشأن . ففي مساء ذلك اليوم ابتداء بالكلام في هذا الموضوع وجعل يلعن بلانش وينسب اليها الخفة والطباشة وان مبادئها غير حسنة الى غير ذلك من الكلمات التي خففت عن مرغريت بعض التخفف الى ان قالت: آه من هذه الشقية والحليقة الجهنمية لعمري ان الناظر اليها يدرك على الفور بمجرد رؤية عينيها انها

عادمة كل حياء فاقدة الشرف الذى هو حلية الانسان في هذه
الحياة الدنيا ولم يكفها هذا بل انها تكذب على الله والناس
بشعرها المصبوغ وحمرتها الصناعية فهي تريد ان تحسب في ريعان
العمر على رغم سنيها الطويلة !

— وحقك اني بغضتها منذ أول ساعة عرفتها بها . كيف لا
وهي تخاطب الرجال بوقاحة هذا مقدارها فضلا عن الألفاظ
المخالفة الآداب التي تتفوه بها يجسارة كلية . نعم اني سمعت شيئاً
عن قلة آدابها وعظم وقاحتها قبل ان أراها .

— ومن اخبرك بأخلاقها السيئة ورداءة آدابها .

— اطلعني على كل ذلك شخص يعرفها حق المعرفة .

— أظن هذا الشخص هو ألبير نفسه هو الذي انبأني بكل
شيء وقد طالما حرصني على ان اكلفها بزيارتي وكثيراً ما كان
يطنّب في حسن اخلاقها وخفة روحها واصفاً ما هي عليه من
لطافة المعشر .

— اما أنت يا مرغريت فاجتهدي في ان تنسي تلك الأيام
السوداء المحزنة .

— واني يمكن ذلك وتذكرها ألزم لي من ظلي فهو يتبعني في
كل زمان ومكان .

– ابعدني عنك هذا التذكر المضي ، وهل لها من يد يا ترى
في حياتك الحاضرة ؟

– نعم تقدر تتكلم علي ولا شك انها اخبرت بقصتي ذلك
الرجل الذي استوقفها في محل المقامرة .

– دعي عنك هذه الوسوس الجارحة وكيف لا تقدرين علي
ذلك وأنت ذات ارادة حرة فاستعملها إذا لطردها ما يؤلمك ثم
تناول كل منها جريدة وبعد هنيهة قال : يلذ لي تدخين سيجارة
في البستان قبل النوم أما انت فاتبعي مشورتي وأريحي افكارك
وارقدي بسلام .

خرج روجر واضجعت هي علي سريرها راغبة في النوم
لكن عينها كانتا تنفتحان علي رغبتها فلم تجد والحالة هذه الي
النوم سبيلا بل شرعت تفكر في كل ما جرى لها كالسابق ومن
انها ستمود قريباً الي باريس وأما ابتعادها عن ألبير فهو من
اصعب الأمور عليها ! بل كيف تتجدد عندما تراه صاحب اللون
حزين النفس وكيف لا تذوب شففاً عند سماع صوته الرخيم
الخلو . ومن جهة أخرى كانت تتألم كثيراً لأن اقتران روجر بها
لم يكن كنانسياً وبلانش تعرف هذا . فصعد الدم الي رأسها عند
هذا الفكر وقالت : ربما تظنني نظيرها ثم عذمت علي محادثة
روجر بهذا راغبة في استدعاء أحد الكهنة ليبارك سر زواجهما
في الكنيسة ولم تتصور قط ان روجر يغضب من طلبها هذا بل

ظننت عكسه وبعد نصف ساعة عاد من البستان ودنا من سريرها ناظراً في محياها فتناومت وبعد أن اطفأ النور ذهب الى سريره . غير انه لم يذق لذة النوم في تلك الليلة وفكر في ان رجوعه الى باريس صار ضرورياً للغاية بعد غيبة هذا مقدارها وان مرغريت تعبت من مشقة السفر فكفها بتبديل هواء ورؤية مناظر ، وها هي الآن تتوق الى الراحة البيئية . عرفت قلبها حق المعرفة وعلى أي شيء ينطوي وزاد حبها لي اكثر من الماضي وذا يكفي بالوقت الحاضر إذ ان الود يزداد نمواً مع الأيام وليس بوسعي ان أمحو ذكر ايامها الماضية ولو كان بإمكانني لفعلت من زمان طويل . أنا نفسي لم أعاملها بسوء قط . وما هو ذنبي يا ترى ان كانت الاساءة بدت من ألبير والخيانة من بلانش . فليس من مقدرتي ان انتقم منها . فاذا ما هي الجريرة التي ارتكبتها والجناية التي اقترفتها يا ترى وهل من العدل ان اعذب في تكفير الإثم عن غيري . لعمري ان في ذلك لعجباً . نعم ان ذنبي الوحيد هو اني اعبدها واقف حياتي لها وهي تباعد عني . اتوق اليها ولا أمل من مشاهدتها ولو جالستها كل أيام عمري أما هي فان حضوره وغيابي لديها سيان واثبتن انها تفضل غيابي وبعدي . أنا أسعى في ان انسيها أحزانها وأجعلها سعيدة وهي تقابلني بحرمان السعادة التي لم أذقها من دون كدر حتى

الآن . (سمع في غضون ذلك تنهدا فعلم انها تفكر نظيره)
ترى في أي شيء تفكر في هذا الليل الدامس . اني اقسم بالسماء
وعلى الأرض ان احفظها لي ولو قاومني الكون بأسره

بل سأعبدها عبادة ولو حاربتني نوائب الزمان وسأوفر لها
أسباب السرور ما دمت حياً وعيناى تنظران شمس النهار
ونجوم الليل .



الفصل الخامس عشر

عاد الأمل الى قلب ألبير رويدا رويدا بعد أن سحقه اليأس وقتله الملل ، وقال ان مرغريت لا تقيم مدة طويلة خارج باريس لأن ذلك لا يوافق مهنة روجر فرجوعها قريب إذا وبعد ذلك يشاهدها في حجراته المعدة لاستقبالها المزينة برسمها وذكرها . وكان يخرج غالباً من بيته للنزهة وحينما يصادف بعض اصدقائه القدماء يسلم على هذا ويضغط على يد ذاك ويبش في وجه الآخر ويسر خصوصاً بعشرة أولئك الذين عرفوا مرغريت عنده ويتعجب عندما لا يذكرها واحد منهم .

وفي أحد الأيام مساء ذهب الى مكان عمومي حيث كانت جمهور عظيم من الناس ليلهو عن افكاره المحزنة ولم يكن يبالي بأنغام الموسيقى واصوات المشخصين لأن قلبه كان يردد دائماً اسم مرغريت .. كما انه لم يكن يعبأ بالسيدات الجالسات بقربه وبغضون ذلك قال بنفسه : نعم ملت الى النساء بماضي الزمان وأما الآن فلا يسطو على قلبي سوى مرغريت . وعندما انتهى

الفصل نهض عن كرسيه قاصداً الخروج فسمع صوتاً يناديه .
فحول رأسه الى جهة الصوت وإذا بسيدة هيفاء القد مليحة
الوجه خفيفة الحركة تتبعها فتاة لطيفة المنظر لابسة ثوباً
من الحرير .

– أنت السيدة فارز ؟

– نعم أنا هي وصافحتك بوداد باسمه ثم تقدمت ابنتها
ومدت يدها لمصافحة ألبير .

– أكاد لا أعرف حضرة ابنتك العزيزة !

– نعم فانها تغيرت كثيراً عن الماضي أما أنا فقد تقدمت
بالسن ومنذ زمن طويل لم أرك مع اني أسر بمشاهدتك سروراً
لا مزيد عليه لأنها تذكرني بتلك الأيام السعيدة ! ولا تفرح من
فكري تلك الصداقة القديمة وهل يسوءك ذكر الماضي .

– بالعكس فان ذلك يسرني .

– أخبرني ماذا تصنع وأين تسكن وكيف تعيش ولم
لا تزورنا .

– اسكن باريس وأعيش وحدي في بيتي وفقدت والدي
منذ ٦ أشهر وأرى المصائب والأحزان من كل جهة ولا أريد
ان اثقل على أحد .

- كيف تعيش وحدك .
- ولم لا اعيش وحدي .
- لم لا تزورنا . اني اؤكد لك ان خبر انفصالك عن مرغريت قد غمنا جداً .. و كنت احبها من كل قلبي .
- ذلك الحب مضى الآن .
- اراها الآن تبتمد عني ولا أزورها إلا مرة واحدة في السنة واطن انها تفضل قطع هذه الزيارة .
- وهل رأيتها من عهد قريب .
- لا . اني لم ارها من عدة أشهر لكنني التقيت بالذئبا في الاسبوع الماضي فأخبرتني بأن ابنتها سافرت الى الجنوب .
- قل لي صريحاً ألا يؤلمك ذكرها .
- لا وحققك .
- مسكينة مرغريت فانها أحبتك كثيراً .
- والافتاه على أيام مضت !
- نعم لقد احبتك جداً وانت جرحتها جرحاً بليفاً بسلو كك . . واطننا الآن سعيدة راضية ببعيشتها . . وفي أثناء كلامها هذا نظرت أمارات الألم على محياها ففتفت : آه ربما تتألم من كلامي هذا ! ثم مدت له يدها ثانية دلالة على ميلها اليه .
- هل تأذنين لي يا سيدتي بزيارتك .

– من كل بد انذا نستقبل الزائرين يومي الاربعاء والسبت
وحيثذ تسمع عزف ابنتي هذه على البيانو لأنها ماهرة بفن
الموسيقى . (عند ذلك توردت وحننا ابنتها اودت وخفضت
عينها) لو لم تمت ابفون لكانت الآن صبية إذ انها من عمر ابني
جان .. ثم تنهدت طويلا وقالت : أرى ان لا مجال للكلام هنا
لكن زرتنا بأول فرصة تسنح لك وحيثذ نتحدث عن جملة أشياء
وان كنت تأبى الزيارات الرسمية في الايام المينة للاستقبال
فيمكنك الحضور نحو الساعة الثانية بعد الظهر اي يوم شئت
وهل بلفك خبر ترملي .

– لا أعرف شيئاً من هذا .

– نعم ان يد المنية قد اختطفت زوجي منذ سنتين .

– اقبلي فروض تعزيتي اذا .

– اشكرك غاية الشكر وقد أسفت جداً وبكيت بكاء مرأ
لحلول هذه المصيبة وحننت أياماً طويلة ورأيت ان ذلك
لا يجدي نقماً فالأولى ان أسلي نفسي وابنتي هذه لأن الحياة في
هذه الدنيا قصيرة ونحن اللاحقون في سبيل الآخرة وهم السابقون
عاجلاً كان ذلك او آجلاً ، لا تنس ان تزورنا عن قريب . ثم
ودعته وعادت الى مكانها . جلس ألبير بعد ان أفعم قلبه سرورا
لأنه وجد إحدى صديقات مرغريت وكان من وقت لآخر
يلتفت الى حيث هي جالسة فرآها مرة تكلم امرأة على القرب
منها فعلم انه موضع حديثها .

ان مدام فارز هذه عرفت مرغريت في المدرسة إذ كانتا تلميذتين ودامت تلك الصداقة المكيمة بينهما الى بعد زواجهما وبعد ذلك اوضحت الألفة أشد من قبل وكانت الاسرتان تتبادلان الزيارات بتواتر وتذهبان الى التنزه معاً وكانت على اتفاق تام في الأدب والذوق والمعشر وما شاكل هذا وكان ارتباطها هذا ينمو مع مرور الأيام .

وإذ طرق مسامع السيدة فارز انفساخ ألبير عن مرغريت أسرع اليها سعيًا بالصلح بينها وبين زوجها غير ان مرغريت رفضت مقابلتها لأنها كانت تعرفت ببلانش قبلاً وفضلا عن ذلك انه تبادر الى ذهنها ان ألبير نفسه ربما أحبها وهي لم تلاحظ هذا الأمر نظراً لما هي عليه من السذاجة والثقة الكبيرة وتعلقها الشديد به .

بما لا ريب فيه ان اوهاام مرغريت هذه كانت تغاير الحقيقة على خط الاستقامة إذ لم يكن بينهما سوى صداقة خالية من كل عيب وغاية وألفة في منتهى السذاجة ولم تكن السيدة فارز من اللواتي يقبلن على انفسهن كذا أمور مشينة وأميال معيبة . نعم انها كانت تلبس الملابس الثمينة الأنيقة وتزين وتتبرج لتستلفت اليها الانظار وتعجب الناظرين فهي كغيرها من جنس النساء لكنها كانت تهزأ وتزدري بالعشيق والماشقين والحب وذويه ولم تكن تبالي إلا بولديها اللذين كانا قيد اهتمامها وموضوع افكارها

وتدبير منزلها كما يقتضي فانها كانت على جانب عظيم من حسن ادارة بيتها .

وكان زوجها فارز مهندساً ذا ثقة تامة بها وبجسناً امانتها وعفافها ولهذا جعلها مطلقة الحرية في شؤون ادارة البيت فهي تأمر وتنهاي وتزور وتستقبل الزائرين والزائرات وتعمل المكآب الفاخرة حسبما يروق لها . ومن طبيعتها الميل الى الاكثار من الاجتماعات العالمية التي تتلوها الزيارات وصنع المكآب الى غير ذلك مما لا غنى للسيدات عنه . وكانت تحب زوجها باخلاص وأمانة زائدين ولم يكن هذا الحب على سبيل العشق . وبعد وفاته تذكره غالباً وتدعوه بالصديق الأعظم وقد صبرت على فراقه الأبدى هذا كما لو كان مسافراً .

أما سرور مدام فارز بلاقاة أليير فحدث عنه ولا حرج كيف لا وقد قضت بعشرته وعشرة زوجته الأيام الطويلة بدون ان يكدر صفوها شيء وقد اخبرت ابنتها اودت بكل ما جرى له مع زوجته من غير ان تضرب صفحاً عن بعض التفاصيل لأنها كانت تكلم ابنتها وتعاملها كأنها امرأة طاعنة في السن معتبرة ان الفتاة المدعوة الى العيشة في الهيئة الاجتماعية تفتقر ان تعرف ما هو العالم واي شيء تجري فيه من الخير والشر والحسنات والسيئات على ان هذه الفتاة تحب ان تكون حسنة التدبير في أساليب المعيشة واسعة العقل قادرة على تدبير نفسها بنفسها فهذا

هو اعتقاد السيدة فارز ، وعلى هذا النوع والقياس ربت وثقفت ابنتها التي كانت تصغي بانتباه الى أحاديث والدتها وتتأمل فيها طويلا . وبعد ان روت لها حكاية ألبير ومرغريت سألتها : قولي يا ولدتي : ترى هل أخطأت مرغريت باقترانها ثانية او اصابت .

– لا شك يا ابنتي العزيزة انها اخطأت كثيراً وهذا كان قول المرحوم والدك .



الفصل السادس عشر

بعد مضي يومين أتى ألبير وقرع باب بيت مدام فارز نحو الساعة الثانية بعد الظهر فسار به الخادم إلى قاعة الاستقبال فنظر إلى ما حوله فوجد كل شيء باقياً كما كان أولاً بدون أقل تغيير وقد تبادر إلى ذهنه فوراً زمان كان يأتي مع مرغريت ولهذا أخذ قلبه يخفق بسرعة عظيمة حتى كاد يشعر ان فؤاده يتقطع، وترقرق الدمع في عينيه حين خطرت في باله سعادة الماضي وتعاسة الحاضر وظلام المستقبل . وبعد هنيهة حضرت مدام فارز وسلمت عليه قائلة : حقاً ان زيارتك هذه سرتني سروراً لا يوصف واني أراك حزيناً كئيباً . قص علي همومك لعل في ذلك فرجاً لك .

— لقد صدقت يا سيدتي فإني حزين النفس كئيب تعس .

— أنا شعرت بكل هذا لئلا لمحتك حيث اجتمعنا ويلزم ان تعرف حق المعرفة بأنك أنت الموم إذ أقدمت على عمل مناف

لسنة الآداب فكانت النتيجة ان أزعجت زوجتك وأتعبت نفسك وخربت بيتك بيدك .

– خطبت يا سيدتي وخطيتي عظيمة نعم كنت مجنوناً والجنون فنون وهاأنذا ترينني أكرر عن خطيتي بعيشة مملوءة من اليأس والقنوط والشقاء بل يا لها من عيشة مرة لا تطاق .. واني حتى هذه الساعة لا أزال أحب مرغريت وأميل بكليتي إليها أكثر من الأول . صرح بهذا وهو يشعر بتعزية عظيمة في قلبه . على انه رأى بجانبها اللطف والجودة والاصفاء التام لحديثه فتسلى نوعاً وقال : ما أطيب قلبك أيتها الصديقة !

– اني لا أرى دواء لدائكما .

– نعم لا دواء لذلك .

قال هذا على غير ما في ضميره إذ لم يقطع الأمل من استرجاعها

– ان الدواء الناجع الوحيد هو النسيان وترويض النفس بالتنقل والأسفار من جهة إلى أخرى – كنت فيما مضى أميل إلى السفر أما الآن فلا .

– ألم تزل تحب بلانش ؟

– اتبعت ذلك حيناً لكنني لا أختارها زوجة لي ولو كانت ملكة جالسة على سرير الملك .

وهل تركتها من زمان طويل ؟

— منذ عشرة أشهر .

— تبا لهذه الدنيا ما أمر الحياة فيها ! أما الآن فقد مضى ما مضى ومتى اطلعت على مرهم شاف لجرحك فلا تتأخر عن المجيء إلى هنا، فأني أساعدك بقدر امكاني . اني أتذكر ايثون في مكان اصطيفانا الأخير وسأريك رسمها في حجرتي وكنت أحبها وأميل إلى أمها كثيراً .

— اني أعهد ان من طبعها الأمانة فلم تجافيك يا ترى ؟

— أظن انها لا تريد أن ترى أحداً من الذين عرفوها قبلاً وسبب ذلك واضح كالشمس في رابعة نهارها . وربما الدكتور روجر لا يميل إلى معاشره الناس ومرغريت لا تزور وتستقبل إلا في النادر وهل وجدتتها سعيدة .

— أظن ذلك . لها ابن صغير جميل جداً وهي تحبه محبة عظيمة .

— ألم تنظرها من عهد الانفساخ .

— صادفت مرة والدتها لكنها كانت وحدها .

— تجنّب أن تراها ما استطعت لأنك ربما وجدتتها كئيبة وهذا بما لا يسرك .

- ولماذا تكون كئيبة وأراني لا أخطر في بالها ولا علاقة لها بي الآن .

- ما هذا إلا كلام . . (ان هذه اللهجة أحييت الأمل في قلب ألبير إلا أنه كتم سره ولم يعرب عما في ضميره) .

- لا نتقابل كوني مطمئنة من هذه الجهة .

- هكذا أمل .

- ان لساني عاجز أيتها السيدة عن شرح عظم تأثري الذي شعرت به عند دخولي بيتك العامر فقد ضنكت من كثرة الهموم وأشعر بأني هرمت ولكن رأيتني ساعة زيارتك عاد إلي نشاط الشيبية .

وفي أثناء ذلك دخلت اودت وهي تميل بقدها الأهيف وصافحته وجلست .

- اني ذكرت ابنتي هذه بأنك كنت محباً لها بالماضي وقد فطنت لعدة أشياء .

- أصبح هذا أيتها الآنسة ؟

- نعم أتذكر جملة أشياء أذكر ايثون الصغيرة وكيف

كانت لابسة ثوباً أزرق يعلوه تحريم أبيض وذلك في عيد الميلاد.
ان كلمات اودت هذه خرقت قلب ألبير الذي لم تتدخل جراحه
بعد فرقع يده أمام عينه قاصداً إخفاء دموعه المتفجرة فلاحظت
ذلك أم اودت فقالت : لقد آلمته يا عزيزتي !

– لآم تولني بل سرتني كثيراً لما أبانت لي لون الثوب
وشكل التخريم .

– تشجع أياها الصديق القديم اننا نذكر ايقون على مسامعك
كي نسرك .

– أراني سعيداً بلقائكما أيتها السيدة الفاضلة !

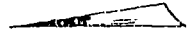
– كان يجب أن تبحث عنا قبل اليوم مع ذلك نسامحك على
هذه الهفوة بل الذنب العظيم بشرط أن تتناول العشاء عندنا
مساء الأربعاء القادم .

– أرجوك أن تعفيني من هذا .

– لا بد من مجيئك فإننا نتحدث ونمرح ونسر باجتماعنا إذ
لا غريب بيننا البتة .

عاد ألبير إلى منزله في ذلك المساء منشرح الصدر خفيف
الروح قرير العين ناعم البال وعندما فتح مكتبه وجد على مائدته

علبة خشب ولما قرأ العنوان تحقق انه كتابة مرغريت فاعترته
نوبة عصبية زعزعت أركان قواه ثم رفع الغطاء بسرعة فوجد
بطاقة بيضاء على ما هو أشبه بسرير من الورد فقرأ ما فيها وإذا
بها هاتان الكلمتان : « إلى ايثون » عند ذلك أحس بأن موجة
حب غمرت فؤاده وفتح ذراعيه منادياً زوجته المحبوبة بالطف
الأسماء وأعذبها وأرقها ثم جلس يقبل تلك الورد العطرة .



الفصل السابع عشر

كان روجر جالساً في غرفة بهية مزينة بالأزهار على اختلاف أنواعها وأشكالها تفوح منها الروائح العطرية التي تملأ الفضاء وأمامه زوجته مستندة على مقعد وكان صامتين لا ينطقان بكلمة والنهار قد شاخ وشمسه كادت تتوارى عن الأبصار ثم أخذ الفضاء يظلم شيئاً فشيئاً إلى أن أقبل الغسق بخيله ورجله باسطاً أجنحة هدوئه وسكينته على جميع الكائنات التي تحت الشمس.

أمام هذا المنظر الذي تتشنج به الأعصاب لا يتالك القلب الحزين عن سكب العبرات واصعاد الزفرات .

انه إذ كانا يسيران على شاطئ البحر في صباح ذلك اليوم فاتحت مرغريت زوجها بالموضوع الذي أتعب فكرها تلك الليلة وحرمتها لذة النوم فطلبت أولاً فسخ أكليتها مع ألبير ثانياً أن تكفل على روجر اكليلاً كنسياً شرعياً ولم يكن روجر يقاطعها في أثناء حديثها هذا وعندما أتمت قولها هذا بدت على وجهه

سمات الرجولية المهيبة وقال لها : لا يا مرغريت فإن هذا لا يمكن .

— ولم يا روجر

— هذا أمر مستحيل وأنا أرفض ذلك (قال بحماسة وقوة مقرونتين بدعة تامة ووضع يده على ساعدها مداعباً فتمتمت قائلة لا أفهم) .

— ألا تفهمين اعتقادي بتمام زواجنا وتريدين أن نطلب عتقاً وهمياً ومن يعطي هذا ؟ .. لا أسمح لك بالرجوع إلى الماضي وقد قلت هذا مراراً على مسامعك، أن الماضي قد انقضى وقد كان لك تمام الحرية حينما قبلتني زوجاً لك وتلك الحرية محدودة الآن .

— أنا غير آسفة على حريقي يا روجر لكن حباً بكمسيم .

فرفع روجر قبعته وأمرّ يده على جبهته يمسح عنها عرفاً كأنه يقطر من أحشائه . فظننت أن رضاه قريب لهذا مالت نحوه قائلة بصوت رخيم :

أريد ذلك من صميم القلب يا روجر .

فحملت في وجهها طويلاً ثم قال بجدة هذا حدها : انك توجعيني بهذا القول . نعم لو يوم طلبت أخذ يدك أبيت بداعي أن الشريعة الكنسية تحرّم ذلك لكنك امتثلت لاعتقادك هذا

وعدت صامتاً . بل لم يخطر ببالك وقتئذ هذا الأمر . والآز
بعد أن أصبحت زوجتي وأم ولدي أخذت تتشبهين بأمر
الكنيسة ؟ لعمرى ان في هذا لمعجباً عجاباً .. ألا تعلمين انك
لي حق الموت .. الى الابد ؟

- لم أقصد ان اجرحك يا روجر انما اردت ان افهمك هذا
الفكر الذي يصعب علي .

- هذا الفكر .. واي فكر ؟

- ان زواجي الاول لا يزال مقيداً في سجل الكنيسة ..

وبعد ان غشت وجهه صفرة أشبه بتلك التي على وجوه
الموتى امسك يديها بعنف وقال: دعينا من هذا الموضوع فلنعد
الى الفندق او نذهب الى حيث هو مكسيم . ثم سارا صامتتين
منخفضي الرأس الى ان لحا مكسيم عن بعد مع مرضعه فأسرعا
في خطاهما ثم ساروا جميعاً . اما مرغريت فانها استشاطت
غيظاً لأنه رفض طلبها مع ان ذلك يعرب عن عاطفة شريفة
ونفس عزيزة لا تقدر ان تحتمل سمة العار . وفي كل الايام الماضية
كان روجر اطوع لها من بنانها ورهن اشارتها على انها كانت
متحققة انه لا يبخل عليها بروحه إذا طلبتها لكنها لم تعلم انه
كان حليماً مطيعاً في الأشياء الثانوية فقط . مع انه في حقيقة
الأمر كان صلب الرأي ثابت الكلمة قاسي الطبع لكنه طيب
القلب . وعندما يستدعيه عليل ما لمعالجته كان يبذل الطاقة في

شفائه إذا أطاعه العليل وان لم يعمل بحسب مشوراته بل خالف منها حرفاً واحداً تركه وشأنه ولم يعد اليه وذلك لأنه كان يعتقد ان الدعوة نتيجة الثقة التامة والثقة تقتضي الطاعة الكاملة . ولما رضيت به مرغريت بعلا لها رأى في هذا الرضى برهاناً كبيراً على تمام ثققتها به وعندما عرف نفسه أهلاً لهذه الثقة قبل بسرور واجبات الزوجية . وفي كل المعاني الثانوية لم تكن ارادته سوى صدى ارادتها لكنه لم يسمح لها بارتكاب خطأ فاضح كهذا ، بل كيف يدعها تتصور لحظة واحدة ان اقترانها غير تام . نعم انه جعل حبه وفقاً لها لكن هذا الحب كان صادرا من أمر واجب الطاعة فلا غرو ان كانت ضعيفة فانه قوي ثابت وإذا وقعت على الحضيض فعليه ان يقبل عثرتها ويحمل قلة صبرها وهو مكلف ان يحمل قلبه سائر همومها وأحزانها لأنه يحبها ويشفق على ضعفها غير انه لا يريد ان يدعها تشك دقيقة واحدة في صحة اتحادهما .

لم يكن روجر يعتقد شيئاً مما يتعلق بالأديان ولذا كانت الكنائس والمعابد وخدمتها وكل ما له علاقة بهذه الامور كلا شيء عنده وهذا كان عيبه الوحيد .

ثم جلس في ذلك المساء وراء مكتبه يقرأ الرسائل الواردة اليه في ذلك اليوم وغرقت مرغريت في بحر هواجس وتخيلات معذبة ولم يكن إلا القليل حتى سمعت في قلبها صوت ألبير ومرء

بذهنها ان ايفون تنادىها فانتفضت للحال وقالت لروجر :
ها انذا ذاهبة الى بائع الأزهار وربما دخلت الكنيسة
بعد ذلك .

- وأنا باق في مكنتي لانشغالي بكتابة جملة تحارير . فهم من
لهجتها انها تود الخروج وحدها وبعد ان توارت عنه لأنه كان
يراه من نافذة غرفته تنفس الصعداء وأقسم بأنه سيدافع عنها
حتى الموت وأما هي فترى قلبها مفعماً حباً وغماً معاً - ذهبت
تبتاع أزهارا لترسلها الى ابنتها الراقدة في الرمس .



الفصل الثامن عشر

في يوم الأربعاء المعين وصل ألبير قبل سائر المدعويين فقالت
مدام فارز وهي تصافح يده . أرى وجهك منيراً في هذا اليوم
فالحمد لله على ذلك .

– نعم ان صحتي تحسنت وتربني مديوناً لمعروفك في كل حال
فأشكرك ما حييت .

– انك تسرني جداً بكلامك هذا تفضل اجلس وبعد قليل
تأتي اودت .

– اني أخاف عليك من هذا الحب الوافر لايفتك .

– ولماذا ؟

– وماذا تفعلين فيما بعد حينما تتزوج .

– أحبها اليوم وغداً وأعزها في الحالتين وهي الآن صغيرة
ولا تتزوج إلا بعد بضع سنين .

- كم سنها

- ١٦ سنة

- وحضرتك كم سنك

- قد بلغت الرابعة والثلاثين .

- ألم تغيّرني أفكارك السابقة

- لا بل كل يوم أتمسك بها أكثر .

دخلت إذ ذاك اودت ابنتها ، صحبة جدها دسباس وكانت
كأنها تمثال الشيبية يجللها شعرها .

استقبل دسباس ألبير استقبالا حسنا للغاية .

وكان دسباس هذا قد فقد امرأته منذ سنين طويلة يقضي
أكثر أوقاته في الجولان والتنقل من محل لآخر ، قد رغبت مدام
فارز أن يسكن أبوها معها بعد وفاة زوجها لأنها وحيدة ولاسند
لها غيره ، غير انه لم يقبل طلبها هذا بل فضل أن يبقى في بيته
مطلق الحرية إلى أن يهرمه العمر وتذهب السنون بقواه فعند
ذلك يسكن مع ابنته لأنها تعتنى تاماً بشيخوخته .

وما أتت الساعة السادسة ونصف حتى كمل عدد المدعوين
ومن بينهم بلواي أحد الفلاسفة المدرسين في إحدى مدارس
فرنسا الشهيرة ومعه قرينته التي تناهز الخمسين . أما صاحبة

المنزل فإنها استقبلت الجميع بكل هشاشة وبشاشة وابتنتها تحذو
حذوها في الملاطفة والمجاملة وبعد أن عرّفت مدام بلواي بالبير
صافحت يده قائلة : اني أحب كل أصدقاء مدام فارز .

وهذا صديق حميم قديم جداً جفانا مدة خمس سنوات سافر
في خلالها إلى مصر . انبيء مدام بلواي أيها الصديق بما عندك
وكان من المدعوين الحواجة لسكال أحد المصورين المشهورين
والدكتور توري طبيب الأسرة الخاص وبعد أن تجاوزوا أطراف
الحديث برهة ذهب الجميع إلى المائدة وجلسوا حولها وأخذت
الداعية محلاً قرب ألبير لتلاطفه بقدر امكانها وتنسيه أحزانه
أما المائدة فكانت مزينة بكل أنواع الزينة تحديق بها الأزهار
المختلفة الألوان والأشكال والشموع الملونة والمناثر الساطعة
بالأشعة تخطف الأبصار وفي وسطها تمثال طفل صغير هو رمز
الحب ، وحوله الأدوات الفضية من ملاعق وشوك وسكاكين
وغيرها والأنوار تنعكس على الكؤوس فتشع كشموس صغيرة .
قال دسباس : أظن ان ألبير لا يجب شرب الماء وحضرات
الأطباء الذين منهم الدكتور توري يبذلون جهدهم في أن يبرهنوا
لنا أن شرب الخمر مضر بلا جدال .

قال ألبير : نعم إذا كان حلوأ .

دسباس : آه من الأطباء ومن أفكارهم القبيحة .

توري : انك مبتلى بداء الصرع يا صاح .

دسباس : مبتلى به وممتلىء البسطن ثم ماذا ؟ عند موتى
لا أتحمس على شيء وقد عشت عيشة راضية هنيئة أكثر منك
أنت الرفيق النحيف كملازم في العسكرية ويكاد طولك ينقصف

فنظر ألبير إلى هذا النحيف الذي يكاد ينقصف فرأى
وجهاً يخبئة عالية وتحت شاربيه الأسودين شفتان تدلان على
الدهاء وكان يحادث اودت التي كانت رفضت الحساء (الشورية).

مدام فارز : ان الدكتور يمنعها عن أكل الحساء .

دسباس : ان العالم على وشك الانقضاء إذ أن أوامر حضرات
الدكاترة تلاشي لذات الموائد .

مدام بلواي : أما أنا فأني أعتبر أنه يجب علينا أن نقرن كل
أعمالنا بشيء من السذاجة .

مدام فارز : هذا هو اعتقادي نفسه .

دسباس : نعم . ويجب أن نتناول الطعام كما لو كنا نبتلع
دواء مرأ . ألم يحب آباؤنا من قبلنا التوابل وزجاجات الخمر الجيد .

أو لم يكن شأنهم مع كل ذلك عظيماً .

مدام بلواي : بما لا جدال فيه ان شأنهم كان عظيماً جداً
وعقلهم أوسع من عقلنا وروحهم أخف وألطف ولم يكونوا
يملون من الملهي والمسرات .

توري : اني اوافقك في هذا يا سيدتي غاية الموافقة لكني
لا أريد أن أشتري لي سوء الهضم مجاناً ان طعام مدام فارز
الذيذ إنما جعل لاقبال نظام الجهاز الهضمي بينما كانوا يخوضون
في هذا الموضوع، اغتمم ألبير الفرصة وكلم مدام فارز بصوت
منخفض مادحاً سلامة ذوقها في تنظيم المائدة وتزيينها .

ان هذه الأزهار أهديت لنا في هذا الصباح وفي أيام الشتاء
لا تحلو لي إلا أزهار الجنوب ويخال لي أن وردة كهذه - أخذت
وردة وجعلت تقلبها بين أصابعها - تتدفق منها معان غزلية
وتخيلات شعرية تبهج الناظر وتقر الخاطر حينئذ فكر ألبير في
الوردة البيضاء التي في جيبه وكان أتى بها عن قبر ايثون ثم
وجهت كلامها للفيلسوف قائلة : أسمعنا صوتك أيها الفيلسوف
الفاضل لم لا تتكلم ؟ أبدو لنا رأيك فيما يختص بطيبات المائدة .

بلواي - ان للمائدة شأنًا كبيراً في الهيئة الاجتماعية كيف
لا ، وهي مجلبة للألفة بين الناس .

توري - أمتأكد أنت انها مجلبة للألفة بين الناس . أنا
أعرف سيدة شريفة تكاد تكون حياتها نعيماً لو لم يفرض عليها
مجالسة زوجها على المائدة وذلك لأنه يملك البشوة بنوع
مضحك يشير غضبها .

دسياس - وحتى الآن لم تطلب الطلاق

توري - انها تفكر في طلبه .

مدام بلواي - ما أكثر الطلاق في أيامنا هذه والحقيقة إنه فرج للزوجين التعميسين .

توري - إن كلامك لفي غاية الصواب .

- ان مدام فارز شعرت بانقباض في أثناء هذا الحديث وودت الانتقال إلى موضوع آخر خوفاً من ظن ألبير بأن محور الحديث يدور عليه .

مدام بلواي - ان شرائع الزواج كانت ولا تزال محقوتة مكروهة .

دساس - هذا صحيح

مدام بلواي - إن الشرائع لم تسن لمن كان مثلك أو مثل زوجي لكن للاشراز الذين يكونون على شاكلتهم وفي حياتي قد رأيت فواحش وأهوالاً كثيرة .

توري - اني أكرر ما قلته لمدام فارز وهو ان هذا البيت هو مسكن الأوهام .

مدام فارز - لا بأس من هذا الوصف فإني أقبله بسرور وسأحافظ على أوهامي دائماً لأنني أعبدما .

توري - مدام فارز تثبت أن عموم السيدات يجب أن
أولادهن وانهن أمهات لا عيب فيهن ولا .. ولا .. ولا محل
للانتقاد عليهن .

مدام فارز - ويحك ماذا تقول ؟

مدام بلواي - ان الودات الفاضلات اللواتي لا يشينهن
عيب قليلا جدا واننا نرى الأولاد نظراً لجهل والدهم وقلة
أكثر منهم بهم أصبحوا ضحية الزمان أو ألعوبة بين أيدي الموم
والأحزان .

مدام فارز - ماذا تقولين لا أريد أن أسمع هذا الكلام

أودت - لكن هذا هو عين الحقيقة يا والدتي

دسياس - أخفتني يا اودت

اودت - ان الحقيقة تخيف أحد .

مادام فارز - وأنت أيضاً ماذا تقولين . ان الحياة لا تحتل
بدون الكذب والتخيلات والتصورات .

ألبير - ان التخيلات القديمة قد استولت على قلوب سلفائنا
وهزت آمال سائر الشعوب .

فنظر حينئذ الدكتور توري إلى ألبير ولم يجبه بشيء بل قال
لأودت :

نحن إذأ ندافع عن الحقيقة أيتها الأنسة اودت بدون شك .
وكانت مدام فارز تلاطف الجميع أجمل ملاطفة ثم قالت
لابنها : وماذا تتكلم مع مدام بلواي يا أبي .
دسباس - ان حضرة مدام بلواي تعرف بأني أعبدها ليس
اليوم فقط بل منذ أيام طويلة أليس كذلك .

مدام بلواي - نعم

دسباس - وتريدين حيي

- نعم

- وتسرين به

- نعم

- وأنا أحبك إذأ على رغم الدكتور توري النحيف الجسم .
واني أسر جداً عندما آكل بالقرب منه لأنني أعلم حق العلم أن
قابليتي الحيدة تجعله يقاسي عذاباً أليماً . ألا تقر يا حضرة
الدكتور بأنك تحسدني على قابليتي ؟

توري - لا أحسدك عليها لأنني عاقل

دسباس - وماذا تعني بكلمة عاقل ؟

توري - هل تظن أن لي صبراً على شرح أمثلة مختصة بعلم
النفس في هذه الساعة .

– انا لا أكلمك في دروس علم النفس بل كل ما أطلبه منك هو أن تعطيني برهاناً قاطعاً وحجة دامغة على أنك عاقل كما تقول.
توري : خفف كمية طعامك تصر عاقلاً من هذا القبيل . ان العقل يبين لي ان شرب المسكرات يحط من قدر الانسان فأتجنبها ولا أكثر من شربها .

بعد ذلك دار الحديث على فنتي الموسيقى والتصوير فارتاحت الى سماع هذا الموضوع مدام فارز، وسألت ألبير هل ازعجه هذا الحديث فأجاب : لم يزعجني قط كوني مطمئنة من هذا القبيل لله ما أطيب قلبك ايها الصديقة . ثم تبادلنا نظرة وابتسامة لحظها الدكتور توري الذي بعد برهة قرب من مدام فارز قائلاً : ما اخفك يا مدام !

– ولماذا ؟

– لأنك لا تعتمدين إلا بالآتي الجديد .

– وهل ألبير جديد ؟ انك تعنيه دون شك . اني أعرفه منذ ١٥ سنة وكانت زوجته صديقة حميمة لي .

– وهل ماتت زوجته ؟

– كلا بل مطلقة .

– أكانت تحمده .

– بل كانت تعبده .

– إذا هو الخائن .

- نعم .
- ان ذلك باد في حياه .. واين زوجته الآن ألا تريها .
- اقتربت برجل آخر وهو الدكتور روجر .
- هذا كان تلميذا لي وهل هو زوجها الآن .
- لا تلفظ هذا بصوت عال لتلا يسمعك .
- يظهر ان هذا المسيو يعجبك كثيرا .
- ايها الدكتور الفاضل اني أحب اصحابي وأرغب في تسليتهم بأيام حزنهم .

وكانت أودت واقفة عند مائدة صغيرة تخاطب لسقال المصور وتريه بعض الرسوم التي صورتها في خلال ذلك الاسبوع وهو ينتقد بعضها مبيناً لها مواضع الاصلاح وألبير يسمع وينظر متأملاً جمال هذه الابنة الفتان ثم اقترب منها طالباً أن تريه التصاوير فقدمتها له الواحدة بعد الأخرى والابتسام ملء شفيتها فقال المصور : أرى عند الآنسة أودت استعدادا عظيما وميلا شائقا الى العمل فاذا داومت على هذا فانها لا شك تبرع في فن التصوير الجميل .

فأبرق حياها سرورا ثم أتت أمها وقالت لألبير : ألا ترى ان عندها استعدادا كبيرا .

- نعم أرى ذلك وأهنئك .

دسباس : لا أنكر استعدادها ولكن لا لزوم لمثل هذه الأهلية عند النساء .

امها : والذي يدعي ان سعادة المرأة تتعلق بالرجل ولكني أرى ان المرأة تحتاج أيضاً الى الاستقلال نظير الرجل .

– ولماذا ؟

– كي تحيا حياتها هي أيضاً وذلك ان الانسان لا يحيا الحياة الأدبية إلا متى تم له استقلاله وحرية .

– يا لها من غباوة ! وبعد أن تناول كأساً من الكونياك ذهب الى مائدة اللعب داعياً بلواي الى لعب الشطرنج . وكان ألبير جالسا بالقرب من مدام بلواي والدكتور توري يجانب اودت التي أخذت تعزف على البيانو عزفاً يأخذ بالألباب كل مأخذ، انما توري لم يكن مصغياً إلا للحديث الدائر بين مدام فارز ومدام بلواي وألبير ، وأما المصور فشرع يرسم شخص اودت بكل اتقان واحكام وهي تعزف على البيانو .

منذ أربع سنوات مرضت اودت فدعي الدكتور توري هذا لمعالجتها ومن ذلك الحين اضحى الصديق الصدوق والمسامر والأليف والجلس على مائدة طعام هذه الاسرة وكانت صاحبة المنزل تصغي الى كلامه وتعمل بحسب مشوراته لأنها متأكدة انه يجب اودت حباً أوبياً ويهتم بصالحها كاهتمامه بصالح ولده وكذا

اودت فكانت تحذو حذو والدتها وهما تنظران اليه كفرد من أهل البيت وترتاحان الى عشرته ومجالسته وتستدعيانه لمرافقتها الى الملاهي والمشاهد التي في باريس لتسليية الخسواطر وتسريح النواظر. وكان توري يلبي الدعوة برضا وارتياح ويظن ان معاملة مدام فارز هذه لم تكن ناجمة إلا عن حب انطوى عليه فؤادها ولهذا أخذ يفتكر في الأشهر الأخيرة بأن يتخذها زوجة وتراعى له ان حياته تكون سعيدة معها وهي تساعده في نجاحه الاجتماعي نظراً لما هي منظوية عليه من حسن الذوق ولطف المعشر وحلاوة اللسان الخ .

وهذه الأفكار لم تكن خافية عن والدها دسباس الذي رأى ان اقتران توري هذا بابنته هو في غاية الموافقة والصواب ولذا كان عندما يلمح له الطبيب توري بشيء من هذا يجيبه بعبارات تشف عن تمام الرضا والقبول .

ولذا امتعض توري من زيارة ألبير هذا البيت وحسب حساباً من مزاحته في مستقبل الأيام لأن ألبير كان من اولئك الذين لم يخلقوا إلا لمطارحة الهوى ومغازلة النساء لأنه كان ذا سطوة ونفوذ في قلوبهن وأعظم شاهد على هذا هو ان مدام فارز لم تكن تعامل أحداً قط بتلك الملاطفة التي عاملت بها ألبير في ذلك اليوم فان الابتسام كان يبرق بين شفثيهما كيفما نظرت وحيثما التفتت وتنبعث من كلماتها حلاوة شديدة العذوبة والرقوة

بنوع لم يكن مألوفاً منها بالزمن السابق . لله ما أعظم الهشاشة
والبشاشة اللتين كانت تظهرهما له .

وعندما انتهت اودت من عزف الموسيقى نهض توري وقبل
يد مدام فارز معتذراً راعباً في الذهاب الى ملهى التمثيل فلم
تلح عليه بالبقاء عندها ، لأنها فكرت في نفسها بأنها تتكلم بجرية
اكثر مع مدام بلواي وألبير .

قد طال الحديث واتسع نطاق الكلام في ذلك المساء ولم
ينفرط عقد اجتماعهم إلا عند منتصف الليل وهم يدعون لمدام
فارز بالعمر المديد والمعيش الرغيد .

الفصل التاسع عشر

نعم ان مرغريت تألت جداً من رفض روجر طلبها وعدم
تتميمه مشتتهاها وغاية متمناها وقد طالما اجتمعت في ان تنسى
بلانش تلك المرأة التي صبت سماً زعافاً في كأس حياتها الصافي
وتنزع من مخيلتها صورة ذينك الازدراء والتعجرف اللذين هما من
اقل صفات بلانش وقد صممت النية وعزمت العزم الثابت على
ان تجعل نصب عينيها وموضوع افكارها اثناء الليل واطراف
النهار، ولدها مكسيم وزوجها روجر الحنون الذي كل كلمة منه
بل وكل نظرة بل وغضبه ذاته كل ذلك كان شاهداً بيننا وبرهاناً
قاطعاً وحجة دامغة على شديد حبه لها ولوعه بها .

وكان يثلج صدرها ويخفف تأثرها من قلق افكارها عندما
تتذكر انه على جانب عظيم من معرفة هواجسها وما يدور في
خلدها لكن لدى ذكر ألبير الحلو وتمثل صورته في فضاء ذهنها
كانت تشعر بألم سري يخرق احشاءها ويمتد الى سائر أعضاء
جسدها ممتزجاً بدمها . . إذ تتمثل صورته تشاهد عينيها حيث
يجول ماء الحنان الدائم وفي محياه علامات الألم الذي لا يشفى

وتنظر شفثيه الباسمتين وقامته الممتازة وتسمع نغمة صوته الحزين
فيذوب إذ ذاك قلبها حناناً وتسيل مهجتها شوقاً وهيأماً.. وتحاول
ان تقصي هذا المشهد من أمام عينيها فيذهب اجتهادها عبثاً ..
تاقت نفس مرغريت الى العودة لبيتها وهي تظن متيقنة ان
قلقها سيذهب أدراج الرياح إذ ليس لديها بعد الرجوع أوقات
طويلة فسارعة لتمثل الخيلة بعض الصور والتذكريات المبهجة
وهذا ما كان يحلم به روجر أيضاً حيث كان له تمام الثقة بها
متأكد أنها لا تأتي أبداً بما يؤله ويخرج احساساته وكان قد
شرح لها كل عواطفه بأرق عبارات ، نقلها عن صفحات قلبه
ورددها على مسامعها مراراً وراجعها بأوقات متباعدة تكراراً
في انه لا يبتغي سوى سعادتها ! أو ليس هو القائل لها: أريد ان
تكوني سعيدة فلا أحلم إلا بهذا ولا طمع لي بسواه فان لم
تكوني كذلك فاني أحسب ذاتي أتعس الناس .

— اني سعيدة يا روجر .

-- هكذا أتأمل بل أوصيك ألا تسمحي لبعض الصور أن
تجول بأفكارك لأنها تضع سماً ناقماً في كأس سعادتك والسموم
أجناس وقطرة واحدة من بعضها كاف لإماتة شاربها . قارمي
قلبك وتصورات تخيلتك وضعي في عقلك ان لا عضد لك غيري
اقصديني دائماً في ابان همومك وأحزانك فان حي لن يتخلى
عني أبداً .

لدى سماع هذه الكلمات من فيه انطرحت بين يدي هذا

الرجل الرحب الصدر الكرمم الاخلاق الشريف العواطف
فانهضها قائلا : ها أنذا لك ما حييت . .

ان مدام موستل والدة مرغريت سرت سرورا لا مزيد
عليه عندما رأت ابنتها في صحة تامة فضلا عن اعتنائها واهتمامها
بشؤون البيت حينئذ حمدت الله وشكرته شكراً جزيلا أما
مرغريت فانها كانت تتجنب الذهاب الى البستان المعلوم حيث
الملتقى بالبيركا أنها أوصت الموضع بأن لا تذهب اليه البتة .
وفي ذات يوم شرعت تقص على والدتها ما جرى لهما في أثناء
السفر وما شاهداه من المناظر الجميلة والوجوه الغريبة وكيف
ذهبا الى مونتري كارلو ذلك المكان المشهور بالمقامة - دون ان
تذكر بلانش - وما شاكل ذلك قالت لها : نعم لقد تنزهت
يا ابنتي وسرحت ناظريك في مناظر لم ترها عيناك قبلا وهذا
لعمري ما يتطلبه سنك بل ان الانسان لا يستطيع في كل طور
من أطوار العمر أن يألف الوحدة والانفراد وقد سمي انساناً
لأنه يتطلب ويستدعي من طبعه الموانسة وألفة بني جنسه فهو
يعيش بينهم ويتعاطى معهم أشغاله وأعماله ويشاركهم في أفكاره
فتكون نتيجة هذا الاختلاط التفكك والتسلي فضلا عن الافادة
والاستفادة ، أما أنا فإني ألوم روجر كل اللوم لأنه يبتعد عن
معاشرة الناس كما اني ألومك ولا أعذر لك لأنك لا تحرضينه على
ذلك وها أن زوجك أحسن الرجال لكن فيه هذه الشائبة فقط
فسبحان من تنزه عن النقصان . نعم ان روجر هو مخطيء بهذا
المعنى فقط . ولم لا تزورون بعض الاصحاب والمعارف ثم

تستقبلونهم نظير سائر الناس ؟ ترى ألا يوجد غير سلفتك
وزوجها وأولادها على وجه البسيطة ؟ فحبذا الزواج وآله إنما
التفنن في المعيشة أمر جوهرى ولاغنى لأحد عنه مطلقاً وخصوصاً
لمن كان مثلك .

بعد أن فاهت بهذه الكلمات رأت ابنتها ان كل ما قالته
صوابي وواقع في محله وقد تصورت ان كل ضجرها ناتج عن
الانفراد والوحدة ثم قالت بلطف : لقد صدقت بما نطقت يا أمه
بل هذا هو عين الحقيقة لكن ... في حالي الحاضرة قد يعسر
الخروج بتواتر !

— وماذا تقولين يا مرغريت ان كل أحوالك لا لوم بها ولقد
طويت أطوار حياتك حتى الآن بنوع لا يقبل الانتقاد وأما
زوجك فإنه رجل تفرد بالصدق والأمانة والاستقامة كما لا يخفى
على كل من عرفه أو سمع به .

— نعم لكنني .. مُطَلَّقة .. وعلاوة على ذلك ان اتحادني
بروجر ليس كنسياً ..

— ابعدني عنك هذا الفكر المبين يا ولدي .. اتحادك بروجر
ليس كنسياً ! هذا حديث خرافة . تعلمين اني لست بكافرة بل
أحب الله وشريعته من كل قلبي . ليس اتحادك كنسياً ومع ذلك
أراك أحسن بكثير من اللواتي تزوجن في الكنيسة وأهلاً لأن
تحسدك النساء اللاتي ليس لهن زوج كزوجك صاحب الأخلاق

الكريمة والأدب الرائع . فشكراً لذوي الذوق السليم الذين سنوا
شريعة الطلاق إذ بها تتخلص المرأة الأمانة من رجلها الخائن .
الحمد لله تعالى على انفصالك من ذلك الذي لا يليق بك .
أما زوجك الحالي فهو والحق يقال كنز ثمين تحسدك عليه بنات
جنسك .

فتنهدت مرغريت وقالت : وبعض الأمور لا يكون إلا
تماسة .

– إنني أوافقك في هذا فقد تعذبت كثيراً في ماضي حياتك
فعليك إذاً أن تستأصلي ذكر هاتيك العذابات من فكرك .

غيري أسلوب معيشتك هذا ، اذهبي مثلاً لزيارة مدام فارز
صديقتك القديمة . وقد سألتني عنك عندما التقيت بها في إبان
غيابك عند بائع القبعات ، وهي تستقبل يومي الأربعاء والسبت
ولا يخفى عليك انه يزورها كثيرون من ذوي الأفكار السامية
والآداب الفاتحة والذكاء الرائع ، زورها من وقت لآخر وانظري
ما ألطف ابنتها اودت التي اشترت لها أمها قبعة من أجل القبعات
هناك ، تتعرفين ببعض السيدات النبيلات حيث تتوفر لديك
أسباب اللهو والتسلي ولذة الاجتماعات العالمية التي تنبه الفكر من
غفلته وتوسع دائرة العقل وتنعش القلب . هذا وقد أُلحْتُ عليَّ
تلك السيدة النبيلة بأن أبلغك وافر أسواقها وتحياتها بعد أن
سألتني عنك باهتمام كثير .

– لله درها ما أطفها ، نعم ، كنت أحبها كثيراً في الماضي
وسأفتكر في هذا الأمر وأطلب فيه رأي روجر .

– حسناً تفعلين . وإذا وجد مانع من جهة مكسم فأني
لا أفارقه ولا دقيقة واحدة في غيابك وأبقى بقربه حتى رجوعك
من زيارتك .

– أشكرك يا والدتي غاية الشكر

– انك بكيت كثيراً بالماضي يا ابنتي وقد نظرت دموعك
الجارية واطلمت على جميع أحزانك فدعيني أن أراك ضاحكة
مسرورة القلب قريرة العين قبل أن أموت .

ان كلمات مدام موستل هذه وقعت موقماً حسناً في قلب
ابنتها بل كانت كقطرات ندى على قلب يتلهب ظمأً وبعد بضعة
أيام عزمتم مرغريت على أن تزور مدام فارز من غير أن تخبر
روجر بذلك .

الفصل العشرون

لم ينفك ألبير عن التردد إلى بيت مدام فارز حيث كانت مرغريت موضع أحاديثه الطويلة ومدام فارز تسمع كلامه شاعرة بأن ناراً محرقة تلتهب في أحشائها فتصعد إلى ناظرها ووجنتيها وهي تعجب كثيراً من حنين ألبير إلى زوجته لأنها كانت تعتقد ان وداد الرجال لا يكون إلا كسحابة صيف ثم تنقشع . ومضى تواري عنهم من هو موضع حبيهم أو التزموا أن يبتعدوا عنه لسبب من الأسباب أو غير ذلك خمدت تلك النار المحرقة وأصبحت آثار ذلك الحب هباء منثورا .

وإذا كانت تسمع حديث ألبير المملوء من آيات الحنونة والمواطف الغزلية الشريفة جعلت تلوم نفسها على اعتقادها ذلك في كل الرجال دون أن تفرق بينهم أو أن تعرف البعض منهم معرفة خاصة وكانت تأسف على ماضيها لأنها لم تحب فيه إذ كانت ترغب في الحب الحقيقي المخلص الدائم .

وكان ألبير لا يمل عن تعداد مزايا مرغريت وسجاياها ويثني

على سلامة قلبها وأمانتها ويسأل مدام فارز متعجباً من انها كيف
أمكنها أن تبتعد عنه وترضى بالاقتران مرة ثانية . فتجيبه بأن
غدر الرجل يفوق صبر المرأة واحتمالها ويصعب على الانسان أن
يشق بثبات حب شخص يخونه وعندما سمع هذا منها في إحدى
المرات هتف قائلاً : هذا فكر نسائي بل جنون محض .

– هل تقدر أن تحب امرأة خدعتك وهل تعتقد صحة
حبها لك ؟ .

– يوجد فرق بين هذا وما نحن بصدده .

– فيما يتعلق بالاحساسات لا فرق بين هذه الحالة وتلك وعليه
فلاني أعذر مرغريت التي لم تكن تبتغي إلا أن تدوم على عهد
الأمانة .. لكن دعك الآن من هذه الأفكار التي تحزنك وتقلق
راحتك . أما اودت فكانت تسر كثيراً في عشرة ألبير وتباحثه
مراراً في شؤون هذه الحياة ومشاكلها الصعبة وهو يكلمها عن
الحب مبرهنًا لها انه موضع الحياة الدنيا ولولا الحب لما وجد
الشعراء والمصورون والموسيقيون وغيرهم من ذوي الفنون
وأصحاب الشهرة، وكانت اودت تسمع هذا الكلام بغاية الانتباه
والاصغاء وتتمن التأمل فيه من غير أن تجيب بشيء أما مدام
فارز فكانت تسخر بهما قائلة لألبير انه غير خالٍ من الجنون
ولو قليلاً، وأن كيفية الحياة على غير ما يعهد، نعم انه يتألم لأنه
لا يعرف كيف يحيا . وفي ذات يوم كانت تتحدث مع ابنتها

اودت في شأن ألبير هذا فقالت اودت : يجب أن يتزوج هذا الرجل يا أمي فإنه شاب .

– هو كهل فإنه يناهز الأربعين ، أما هذا تقدم في السن ؟

– لا . أنا لا أبالي قطعياً بتقدم الرجل في العمر إذا كانت صفاته تعجب وترضي فلو خيرت بين ليوناردي فانشي البالغ عمره ٨٠ سنة وبين أجمل شاب من شبان عصرنا هذا لاخترت الأول بدون تردد . حينئذ ضمت ابنتها إلى صدرها وقبلتها .

أما البير فكان يغذي صبره بالآمال وينتظر انتظار هلال العيد انبثاق فجر الغد علته يرى ذلك الشخص الذي أحرمه لذة النوم في لياليه الطويلة ويعتاض برخيم ذلك الصوت عن كل ما يراه ويسمعه . نعم كان يقول مراراً : ستعود مرغريت وتدرني بكل ما قاسيت واحتملت من جراء بعادها وإذ ذاك تشفق علي وتعود إلي كالأول فحبذا تلك الأيام !

الفصل الحادي والعشرون

في ذات يوم من أيام شهر مارس البهيجة والساعة الرابعة بعد الظهر كانت مدام فارز تجامل زائريها وبينهم شقيقتان آنستان تسمى الكبيرة منهما ماسكا والصغيرة فدورا ولم تكونا جميلتي المنظر بل قبيحتي الشكل تجلل ملابسها «التخاريم» والشرائط الكثيرة ولا تحلمان إلا بالزواج إذ كل واحدة منهما تتجاوز الثلاثين سنة . ومام فارز تدعوها غالباً لزيارتها وتستقبلهما بلطفها المعتاد وخصوصاً بما أن ماسكا كانت ذات صوت رخيم يخلب الألباب ويأخذها كل مأخذ واودت كانت تقول لها كل مرة : لو كان صوتي نظير صوتك لكنت الأولى بين الممثلات في الأوبرا .

وبينما كان موضوع الحديث الأصوات الجميلة أخذت مدام فارز تطنب في مدح صوت الأنسة ماسكا وحذا حذوها مصدقا هذا كاميل بليه فأبرقت اسيرة وجه ماسكا الذابل وعرضت

على الحاضرين أن تغني على مسامعهم بعض الألحان فأجابوها بالقبول بكل مسرة وارتياح وحينئذ جلست اودت حذاء البيانو ، وعزفت أولاً بقوة شديدة حتى دوت القاعة ثم خففت العزف شيئاً فشيئاً إلى أن ظهر صوت ماسكا الفتان المطرب وهكذا فإنه لم يزل يرتفع ويحوم ويدور في فضاء تلك القاعة حتى سكر السامعون من سماعه ومالت أعناقهم . على أن الذي كان يزيد بهاء هو انها كانت تلفظ بتأن الكلمات الغرامية والعبارات التي تسدل على الحزن في ذلك اللحن الذي بدأت به . وكل ذلك كان يجري في قلوب السامعين كقوة مغنطيسية أو سوائل كهربائية فتشنجها ..

فأسند كاميل رأسه على يده وتراءى له كأنه غاب عن عالم الوجود وانتهى إلى جنة النعيم حيث يسمع أصوات الملائكة التي بلا شك تشبه هذا الصوت الرائع . أما مدام فارز فإنها أدارت رأسها إلى الوراء وأخذت تسيل دموعها بكثرة وكاد قلبها يتفتت لعظم وقع هذا الصوت وتأثير تلك المعاني فيه .

وبيناهم كذلك إذ قرع جرس الدخول فنظرت ماسكا إلى الباب وهي وجلة فلم تر أحداً وما انتهت من ترنيم ذلك اللحن الساحر إلا احتضنتها مدام فارز وأشارت إلى اودت بأن تحضر وشاحاً صغيراً من الصوف الناعم لتلف به عنقها فامتثلت لأمر والدتها وما كادت تصل إلى جهة الباب حتى رجعت القهقري

وهي تقول : يوجد زائر يقرب الباب فنظرت مدام فارز إلى ناحية المدخل وإذا بالسيدة مرغريت مدام روجر فنهضت وأسرعت إليها ضامة يديها بين كفيها وهي تقول : أهلاً وسهلاً ومرحباً بك أيتها الصديقة العزيزة .

– اعذربي يا لويزة لأنني كنت قرعت الجرس ولم أدخل لثلا أقطع هذا الصوت الجميل ثم جلست بالقرب من مدام فارز بعد أن سلمت عليها اودت ثم قالت صاحبة المنزل : بالحقيقة يا مرغريت ان زيارتك هذه لقد سرتني جداً !

– الله ما أطيب قلبك يا مدام فارز حقاً اني لا أستحق صداقتك هذه بعد أن جافيتك كل هذه المدة . وقد أخبرتني والدي انك التقيت بها بأثناء غيابي فسألته عني وكل امارات المودة على محياك وها أنذا أتيت أشكرك « وبغضون ذلك كان قلب مدام فارز ينبض بسرعة لأنها كانت تخشى دخول البير في تلك الساعة » .

– نعم أرى من الواجب عليّ أن أسأل عنك يا عزيزتي مرغريت ! وكيف حالك الآن ؟

– الحمد لله صحي عادت إلى ما كانت عليه قبلاً وسفرنا كان جيداً للغاية .

– وكيف مكسيم نجلتك المحبوب

– هو في صحة تامة الحمد لله اني مسرورة جداً برؤيا ابنتك
اودت وأراها تغيرت جداً عن السنة الماضية . ألا تزالون ترغبون
في الموسيقى كالأول ؟

– أنا أعبد الموسيقى التي برعت فيها اودت براعة تامة فهي
تعزف بإتقان لا مزيد عليه . لكنها لا ترتل لسوء الحظ .

– ومن هي ذات الصوت الجميل التي كانت ترتل عند دخولي؟

– هي آنسة روسية وأما التي ترى جالسة بقرتها هي اختها.
فهل تريدان أن اعرفها بك ؟

– لا بأس من ذلك بل أقبل هذا بنغاية المسرة . وبعد التعارف
شرعت مرغريت تقص عليهم ما شاهدت في سفرها وفي أثناء
ذلك دخل الدكتور توري وحيماً مدام فارز فسلمت عليه وعرفته
بمرغريت وعرفتها به .

فابتسم توري وانحنى احتراماً لها وجلس يحادثها بينما نهضت
مدام فارز لوداع تينك الآنستين وطال كلام الوداع عند الباب
– كما هي عادة النساء في كل اين وآن . ثم قال توري بجلاوة هذا
مقدارها كان بينه وبين مرغريت معرفة قديمة : اني أعرف
زوجك حق المعرفة أيتها السيدة الفاضلة واني أعتبره اعتباراً
عظيماً .

– اني أسر بكلامك غاية المسرة يا حضرة الدكتور .

– ان مهنتنا صعبة وتتطلب وقتاً طويلاً وأنا أشفق على كل طبيب عنده امرأة جميلة ولذا ترينني أعزب . بعد هذا شرع يقص عليها بعض حكايات لها علاقة بمحادثة روجر زوجها عندما كان تلميذه ويمدح ذكاه وأمانته ويطنب في وصف أخلاقه حتى أن مرغريت سرت سروراً لا مزيد عليه وشعرت من جديد ييسل إلى روجر ولم يكن يخطر على بالها من قبل أن تفتخر بزوجها .

وقالت في نفسها . ان منزلته كبرى بين قومه ومعارفه
والجميع يحبونه ويحترمونه فلماذا لا أحبه ؟

ثم في لحظة بصر خال لها أن البير ذكر فيما بين الواقفين يقرب الباب واعتقدت بأنهم يذكرون ماضيها فاصفر وجهها وامتنع لونها وقد لحظ الدكتور توري هذا التأثير . ثم عادت مدام فارز وبرفتها سيدتان اخريان فاستغنمت مرغريت هذه الفرصة ونهضت مستأذنة بالذهاب فحاولت مدام فارز ان تجلسها فادعت أن والدتها تنتظرها لتذهباً إلى مكان آخر .

– كدرتني يا مرغريت عديني بأن زيارتك تكون أطول
بالمرة الآتية .

– نعم أعدك وأنتظرك مع اودت .

– لا شك بهذا نوبي عني بتقييم خدّي مكسيم مراراً .
وعندما مدت مرغريت يدها لتوري ضغط عليها قائلاً :
أرجوك أن تبلغني حضرة الدكتور بأن معامسه لا ينسأه واني
أهنئه بزوجه الجميلة واعتبر ذاتي سعيداً أيتها السيدة لتشرفني
بمعرفة حضرتك .

خرجت من البيت وهي تفكر في البير رغماً عنها وكادت
تندم على هذه الزيارة .



الفصل الثاني والعشرون

قالت اودت لامها لما خلاهما المكان : كيف تصنعين بعد الآن باستقبال مدام روجر ؟

– الخواجا البير لا يزورنا في الأيام الرسمية ومرغريت كانت صديقتي المحيمة فليس بوسعي إلا أن أستقبلها نظير الماضي .

– نعم لكن يستحيل علينا استقبال الطرفين وهذا غير ممكن !

– لا أظن أن مرغريت تتكدر إذا علمت بأنني أستقبل زوجها الأول لأنها كانت تحبه كثيراً .

– كانت تحبه أولاً في الماضي وهي الآن زوجة رجل آخر .

– لا أعلم كيف العمل ولكن على أي الأحوال انها لا تعود إلى هنا قبل أن تزورها وستفتكر في هذا الأمر إنما الخواجا دسباس والد مدام فارز استصوب رأي اودت مشيراً إلى ابنته

بأن تخبر الطرفين بالواقع فانتفضت اودت قائلة : ليس من الإنسانية واللياقة أن تخبر البير إذ لا صديق له سوانا ولا تعزية له إلا بزيارتنا مع أن مدام روجر هي في غنى عنا والشاهد على هذا انها لا تزورنا إلا في النادر . فقال دسباس : ان الحق معك يا اودت وهذا عين الصواب .

— أمي ليس عندها جراءة .

— نعم ولكن لا أقدر أن أمس احساسات أحد ويخال لي أن مرغريت ليست راضية عن حالتها .

— كيفما كانت حالتها ان الذنب لا يقع إلا عليها ومن جهة الزيارة ليس لها إلا أن تلوم نفسها لأنها هي البادئة بها .

كان دسباس يستقبل زائريه في منزله يوم الأحد فحينئذ تذهب ابنته واودت لتناول الطعام معه ثم تهتمان بجملة ضيوفه واكرامه . وفي الأحد التابع لزيارة مدام روجر كان دسباس يلعب مع اودت بالشطرنج ، وفي الساعة الرابعة بعد الظهر دخل الدكتور توري فهتف دسباس أهلاً وسهلاً بطبيبنا النطاسي العظيم !

فأجابه مازحاً : اجلس من غير قيام فإنني لست غريباً هنا .

— دعنا نلعب وحدثنا وتحدث مع مدام فارز

فقال له هيا بنا إلى الصالون الصغير لأننا لا نقدر أن نتكلم هنا إلا بصوت منخفض ثم ذهبنا إليه وجعلت تنظر إلى الصور المعلقة على الحائط وقالت : هل رأيت الصور الجديدة التي اشتراها أبي يا حضرة الدكتور ؟ .

– لم أرها بعد

– ها هي تعال وانظريها . فجعل ينظر الواحدة بعد الأخرى إلى أن قالت تعجبني هذه البنية الصغيرة وأما رؤية تلك فتحزنني .

– ولماذا تحزنك يا سيدة ؟

– يظهر أنها تندب حبيبها فأنا متأثر من النظر إلى هذه الابنة المسكينة على رغم استخفافي بدموع المحبين .

– نعم واعتقادك بسنة الود غريب حسبما يبدو لي دعيني أولاً أن اهنئك بصدقتك لرجل وامرأة مطلقين وهل يعرف السير أنك تستقبلين زوجته .

– لا توجد أسرار بهذه الزيارة وما من سبب يدعوني لإخفاء ذلك .

– رأيك في محله .

ان توري كان يشتم من رائحة كلامه علامات الغيرة ظاناً

بأنها تسر بذلك إذ تتخذه شاهد حب وميل إليها ولم يعلم أن
مداخلته في ما لا يعنيه جعلته ثقيلاً غير محتمل ، بما أن صداقة
مدام فارز له كانت ساذجة مجردة عن كل غاية وعندما سمعت
كلامه هذا غشى الاصرار وجهها واستشاطت غيظاً وكدرأ
وقالت له : أرجو منك أن لا تتداخل في أموري لأنها
لا تعنيك .

— حسناً تقولين يا سيدتي . انما تعنين ان صداقتي تثقل
عليك .

— لا أريد ان يتعرض أحد لأمر سيرتي وسلوكي فإني مطلقة
الحرية في سائر شؤوني . نعم اني أزور وأستقبل وأود من
أشاء . قالت هذا ودخلت غرفة اللاعبين دون أن تعبا به
وجلست ازاء والدها وابنتها وبعد برهة وجيزة نهضت اودت
مسرورة وهي تقول : غلبت جدي فأنا غالبية وهو مغلوب .
قال انها ابنة تخيف ثم سأل أمها عن توري . فأجابت في القاعة
ينظر إلى الصور . فتبعه إلى حيث هو ثم اقتربت اودت من
والدها ولثمتها فشمرت بارتعاش يديها .

— ماذا جرى يا والدتي أرى يدك كقطعة ثلج !

— لم يحدث شيء . هل تحبينني يا اودت ؟

– وأعبدك عبادة أخبريني ماذا جرى؟. ثم دخل دسباس
وقال : ماذا حدث ، وأين ذهب توري يظهر لي انه قد انسل
(على الموضة الانكليزية) ولم يزد على هذا شيئاً ، إذ لحظ اضطراب
ابنته ففهم انه جرى لها ما يكدرها من جهة توري .



الفصل الثالث والعشرون

ان الدكتور توري ثاني يوم اجتماعه بمدام روجر ذهب إلى ابنتها وسلم الخادم بطاقة لها فاستغتمت والدتها هذه الفرصة لإعداد مآذبة بليدة سرور وحظ في بيت ابنتها وأفهمتها أن تحث زوجها لأن يكون توري من المدعويين فراق هذا الفكر في عيني روجر مريداً أن يشكره على مدحه إياه أمام زوجته لكنه لم يفتن بمن يدعوهم معه ، فقالت مدام موستل يمكنك أن تدعو اليس وزوجها وصديقنا القديم - لبران هاليه - الذي صادفته بطريقي في الأسبوع الماضي وقد سألتني عنكما باهتمام والدكتور توري ويمكنك أن تجد مدعواً آخر من أعز أصحابك ونحن ثلاثة ولا ينقص سوى تعيين اليوم ومرغريت تكتب بطاقة تدعوها توري فماذا تقولون ؟

فصادق روجر ومرغريت على هذا الرأي . ثم اختلت مدام موستل بابنتها وقالت كظافرة هل نظرت ما أطيب قلب

زوجك . سري وابتهجي بعيشتك يا بنيتي وانزعي عن وجهك
هذه الهيئة المحزنة . وماذا ينقصك يا ترى ؟

فتنهدت مرغريت قائلة لا ينقصني شيء .

ثم وصلت اليس وزوجها من فرساي قبل باقي المدعويين
وتركت زوجها في منزل أخيها وذهبت تقضي بعض الشؤون في
المدينة . أما زوجها القبطان (تورسي) فكان خفيف الروح
حلو الحديث بهي الطلعة يعجب كثيراً بمرغريت كما أنها كانت
هي أيضاً ترتاح إلى مجالسته ومحادثته وكانت في ذلك اليوم
متبرجة ومزدانة بأحسن زينة ، لابسة ثوباً رمادياً جميلاً للغاية
وشعرها الذهبي يلمع فوق وجهها المنير الناصع البياض المزوج
باللون الوردي . فتأملها القبطان تورسي طويلاً ثم قال لها :
يخال لي اليوم انك مرغريت الأولى نعم من حين دخولك بيت
روجر هذا تهملين نفسك ولا تعنين بملابسك كالأول .

خال لها ان القبطان عرف فكرها وما يختلج في أعماق
صدرها وانها لم تتبرج إلا لأنها افتكرت بالبير ولهذا احمر
وجهها ثم أجابت : لا تذكر الماضي يا هنري .

- ولماذا يا مرغريت . أنا متأكد كل التأكد انك لم تذني
في الماضي ولا محل للانتقاد عليك بالحاضر . وكانت حينئذ
زوجته داخلة بالباب فسألته : ماذا كنت تقول ؟

- كنت اردد على مسامع السيدة مرغريت آيات حبي لها
معرباً لها عن عواطفى .. وأنت تعلمين عظم مودتى لها .

- ان قولك هذا يناهى العقل والصواب على خط الاستقامة .

ان الدكتور توري قد أظهر من الهشاشة والبشاشة والالطف
والدعة ما لم يكن يمهّد فيه من قبل روجر وكثيراً ما بالغ في
الاطراء على صفات روجر وحسن أخلاقه ، والخلاصة انه كان
موضوع كلامه حتى ان مدام تورسي نظرت إلى أخيها نظرة
المتعجب . وبعد تناول الطعام اتخذ مدام موستل موضوع اهتمامه
واعتنائه فنهض وجلس بالقرب منها وهو يمدح ويثني على ذوق
اولطف ابنتها وذكاء وأمانة زوجها مؤكداً لها انه سينجح نجاحاً
عظيماً ويشتهر اسمه بين قومه فأجابته : ان ابنتي مرغريت قد
سرت سروراً لا مزيد عليه بمعرفة حضرتك .. وأنا أتأمل انها
تذهب من وقت إلى آخر إلى مدام فارز صديقتها . فله در هذه
السيدة ما ألفتها وألذ عشرتها !

فصمت توري وأظهر ارتباكاً متلعثماً أو كان لا يدري بماذا
يجيب ولكي يخفي ارتبائه هذا مكن نظراتيه تحت عينيه
فلاحظت ذلك مدام موستل .

- وهل حضرتك تزور مدام فارز يا دكتور؟

- كنت أزورها في الماضي لكنني أرى من الآن وصاعداً أن
لا حاجة لها إلى أصدقائها القدماء

- هل تسمح لي أن أسألك ما سبب ذلك ؟
- السبب في غاية السذاجة .. وهذا أمر لا يهمني كما انه لا يهمني ..
- وما هو . ولم لا تصرح بكلامك ؟
- هو صهرك القديم ولا أذكر اسمه خوفاً من أن يردده الصدى . نعم هو يتردد دائماً إلى بيتها وهي تستقبله بكل حرية ولا تخفي هذا على أحد
- وهل تظن أن صداقة ...
- نعم صداقتهم تنتهي بالزواج . وعندى شواهد تثبت هذا الظن .. لكن هذا لا يهمني .. وكل منهما طلبت الحرية ..
- هذا صحيح ولا جدال فيه .
- لكن يخشى من زيارات مدام روجر وتردها إلى هناك .. فأنا أخبرتك بهذا الخطر الممكن وقوعه مراعاة لحقوق الصداقة . فهل أنا مخطيء في ذلك ؟
- كلا فإني أضحيت في غاية الامتنان لشعائر حبك ومن أعظم الشاكرات .

الفصل الرابع والعشرون

انصرف المدعوون الواحد بعد الآخر أما مدام موستل
فظلت قلقة البال مضطربة البلبال لما انبأها به الدكتور توري
أخيراً خرج روجر لعيادة المرضى وبقيت مرغريت وحدها في
حجرتها حيث أضاءت النور الكهربائي ووقفت أمام المرآة ترى
ذاتها فسمعت كلام هنري يرن في أذنيها وهو : يخال لي اليوم انك
مرغريت الأولى ..

ثم نظرت إلى ذاتها مندهشة وقالت : وماذا تغير في عن
الماضي ؟ نعم انه مصيب في كلامه ان ماضي لا يهدم وما من
قوة أرضية تقدر على هدمه لأنه حي في قلبي .. نعم ان ماضي
حي وسيحيا إلى الأبد .. ان مصارعتي لنفسي لا تجدي نفعا ..
وأراني أجتهد في محو رسم ألبير من مخيلتي غير أن شوقي يزداد
إليه كل يوم وودي له ينمو في كل ساعة .

ترى هل نسيتني بل لم لا يكتب لي ويسأل عني ؟ ومن يعلم ان

لم يكن انشغل عني بغيري ؟ نعم طالما تمنيت الابتعاد عنه اتماماً
لواجباتي . غير اني اصارع قلبي وفكري بدون فائدة على ما أرى .

ان واجباتي تنهاني عن البحث عنه والتوصل إليه والتمتع
بحديثه الرائع ، لكن من جهة أخرى لي الحرية بأن أحبه وأميل
إليه وأشتاقه .. بل وأبكيه كما لو كان تحت التراب .

ثم أجالت طرفها في ما حولها وهي مذعورة فشعرت بألم في
قلبيها وأغمضت عينيها ثم فتحتهما وصوبتهما نحو صورة وحيدها
مكسّم عند ذلك ابتسمت لهذا الوجه الصبوح الجميل وشعرت
بقبلاته اللذيذة ودعته لمساعدتها ليحميها من ذكر البيرو .. وهيئات
ذلك . وكان رسم ايّون معلقاً فوق صورة مكسّم .

عندما رأت رسم ايّون وهي مائتة تحديق بها الأزهار غلى
دمها وجرى مسرعاً في عروقها ، ثم بسطت ذراعيها وهي لا تعي
على شيء لكنها ترتعش شوقاً وحزناً ، ثم ضمتها إلى صدرها
وأغمضت مقلتيها ولفظت بصوت مرتفع تلك الكلمة المحرقة
التي كانت ترفرف دائماً على شفيتها . ألا وهي : ألبير !

الفصل الخامس والعشرون

أتى جان فارز بيت والدته في عطلة عيد الفصح حيث قضى
٨ أيام بين حنان أمه ودلال شقيقته غير أن البير لم يأت في ذلك
الأسبوع . وفي غد رجوع جان إلى المدرسة سألت اودت أمها .
هل عندك من خبر عن البير .

– لا يا عزيزتي أجابت ذلك باضطراب فلاحظت اودت
خطراً بها لذلك دنت منها قائلة : وهل كتبت له ؟

– لم أكتب ولا افكرت فيه لأنني انشغلت عنه بأخيك جان .

– أو لم ترسلي أحداً يسأل عنه ؟ .

– لم افكر فيه إلا الآن ولا علم لي بغيابه عنا كل هذه المدة .

– يناسب أن تكتبي له يا والدتي ان كنت ترومين .

– قصدي أن أكتب له وأرسل الرقيم مع الخادمة لتأتينا

بالجواب المعجل .

– أكتبي حالاً بدون ابطاء . فجلست مدام فارز أمام
مكتبها وبعد أن كتبت الرسالة أرسلتها مع الخادمة إليه ثم
تابعت اودت حديثها وقالت : ان البير تعس يا أماء .

– نعم انه تعس جداً

– وأرى من الواجب علينا أن لا نهمله

– ومن منا يهمله ؟

– اني أخشى عليه من صداقتك لمدام روجر . فإنها امرأة
عديمة الشفقة !

فأبتسمت مدام فارز وضغطت ابنتها على صدرها . بغضون
ذلك عادت الخادمة حاملة جواباً من الخواجا البير ففضته وقرأت
فيه ما يأتي :

سيدتي وصديقتي العزيزة

كنت مريضاً كل هذه المدة أما الآن فإني اتجهت إلى الصحة
واني آمل أن يساعدني الحظ بزيارة حضرتك بأول فرصة تسنح
حيث أتمزى باللطف عن الوحدة . وتفضلني أخيراً بقبول تحياتي
الودادية . ثم دفعت الكتاب لأودت فقرأته وقالت لأمها : حسناً
فعلت يا أماء بالكتابة لهذا الصديق المسكين .

في غضون ذلك وصلت إلى عند مدام فارز الآنستان ماسكا
واختها وبعد التحية قالت ماسكا : قد كلفنا في هذا اليوم حضور

حفلة موسيقية في الساعة الرابعة بعد الظهر، فأتينا إلى حضرتك خصوصاً لتأذني لأودت بالذهاب معنا فإنها تسر كثيراً . فشكرتها مدام فارز وأثنت على احساساتهما النبيلة لأنهما تفتكران دائماً في بنتها . فأجابتا اننا نحبها كثيراً .

ثم خرجت اودت مع الآنستين بعد أن أذنت لها والدتها وعينت لها وقت الرجوع وصحبتهن إلى الباب الخارجي ثم عادت تمشي الهوينى حتى إذا وصلت إلى حجرتها ألقت بنفسها على مقعد هناك وقد انحطت قواها . بعد ذلك فكرت كيف أن ابنتها أسرعت بالذهاب غير مبالية بترك والدتها وحدها دون أن تعتذر من جهة خروجها .. رأت نفسها منفردة وحيدة .. ووحدة هذه الساعة جعلتها تفتكر في وحدتها في المستقبل .. قالت ان ابنتي اودت ستتزوج يوماً ما ، وكذلك أخوها جان فأصبح والحالة هذه وحيدة وكل من ولدي يكون ذا بيت هو موضوع أفكاره واهتمامه وأنا المسكينة من يعتني بي يا ترى ؟ نعم ان الذي يحبني حباً عظيماً لكن هذا المستقبل .. وبعد أن خطر في فكرها البير تنهدت : آه لو كان لا يكفيني في ان يحبني هذا الشخص ! الله ما أنشف حياتي وأعقها ! لعمرى اني لم أذق في كل أيامي الماضية طعم الحب اللذيذ ، ولم تمس شفتاي كأسه المسكرة .. نعم لقد مضى شبابي دون أن افكر في الحب أما الآن فلم يعد هذا بالإمكان فأنا أشعر والحالة هذه باحتياج إليه نعم أحتاج إلى حبه وميله !

ظلت وقتاً طويلاً بدون حراك وعيناها محدقة بالأرض

متأملة بالبير المريض وكيف انه وحده لا أحد يهتم به فهو
يجي ليله ساهراً يتقلب على فراش الحمى والآلام ثم استولت الشفقة
على قلبها ودبت فيه حرارة جديدة وزفرت زفرة سداها الحزن
ولحمتها عظم الاكتئاب ثم نهضت تمشي في الحجره وهي عازمة
على الإعتناء بالبير والاهتمام به .



الفصل السادس والعشرون

أشارت مدام فارز إلى والدها بأن يذهب لعيادة البير
المريض وعند رجوعه بادرت اودت لسؤاله قائلة : كيف حاله ؟

– حاله سيئة على ما أظن

– وماذا تعني بهذا القول ؟

فأسرعت مدام فارز من داخل وقالت : أنت يا أبتى تزيد
في كلامك فتجعل الشيء الذي لا يذكر عظيمًا جسيماً وتتصور أن
صحة الجميع ضعيفة نظير صحتك .

– قولي مهما شئت وسترينه بعينك لأنه ألح عليّ بأمر
ذهابك لعيادته .

– وهل تذهبين يا والدتي ؟

– بكل رضا .

قال دسباس : كاد قلبي يتفتت اشفاقاً عليه وقد سألته بأن

أعوده بتواتر إذا شاء فرفض معتذراً بأن الزيارات تتعبه إنما
طلب مني بلجاجة كلية بأن تذهبي إليه .

لم يمض سوى زمن وجيز حتى ذهبت مدام فارز لعيادة البير
وعندما دخلت حججته نبض قلبها سريعاً حينما رآته ملقى على
سريره شاحب اللون منحط القوى فدنت منه ومسكت يده
قائلة كيف حالك أيها الصديق الصدوق ؟

— ان حالي كما ترين أيتها السيدة النبيلة . قلبي ضعيف بطيء
الحركة منذ سنين طويلة !

— وكيف لا يكون ذلك وأنت تفكر دائماً في ما يؤلمك
ويكدر صفاء معيشتك ! لله ما أطيب رائحة هذا النسيم المنعش
الداخل من هذه النافذة !..

قالت هذا ، لأن النافذة التي تطل على البستان الصغير كانت
مفتوحة والنسيم العليل يتلاعب بغصون أشجاره المختلفة وأوراق
أزهاره ورياحينه المتنوعة ثم يهب في الفضاء حاملاً روائحها
العطرية فينشرها في غرفة المريض الذي هو أليف الوحدة حليف
الوحشة والانفراد في دنياه هذه !

نظر البير بعينين منخفضتين إلى الخارج ثم حوّل نظره إلى
رسم مرغريت وهو على القرب منه وقال : أريدها هي .. ومن
صميم القلب أبتغي مرآها .

وضعت مدام فارز يدها على يده بلطف متأملة تلك اليد
النجيلة فرفع بصره إليها قائلاً : لا رجاء لي إلا بك أنت .

– بي أنا ؟ وماذا أستطيع أن أعمل ؟

فسكت برهة وقال بحرقه لا مزيد عليها اذهبي قولي لها بأني
ماتت لا محالة واروم أن اودعها الوداع الأخير .

– ماذا تقول ؟ تبصر بأمرك .. ؟

– تبصرت كثيراً وتصبّرتُ زماناً طويلاً وأمعنت النظر في
أموري ساعات متتالية إلى أن عيّل صبري وضافت حيلتي
ففكري هو نديمي الوحيد ومرضي ناتج عن كثرة تفكري فيها
وقلي يحدثني بأن أراها لأنها زوجتي ومتى رأيتها شفيت لا محالة !
ولا أقدر أن أكتب لها رأساً بينما ان-حضرتك صديقتها وتستطيعين
مقابلتها في كل وقت ، فاذهبي إذاً وتوسلي إليها بأن تشفق على
صبري الواهي وجسمي السقيم وروحي الذائبة .. ألحي عليها بأن
تشفق عليّ وترق لحالتي هذه استحلفيها باسم ايثون ابنتي . آه لو
علمت ايثون بحالتي لظهرت لها في الحلم مشددة عليها بالاسراع
إليّ .. هل تفعلين معي هذا المعروف وترئين لحالتي هذه ؟ أجيبي
بالايجاب أيتها الصديقة الفاضلة واني لاخالك فاعلة ذلك بالحال !

– نعم رأيتها وكلمتها أيضاً !

– هي زارتني منذ أيام وظهر لي انها سيدة قريرة العين ،
ناعمة البال . فلماذا تريد أن تقلقي راحتها ؟ فإن كنت تحبها حقيقة

دعها وشأنها وبعد هذا وذاك من يعلم ربما تغير قلبها من جهتك
كانت تحبك في الماضي .. أما الآن ..

- كانت تحبني ولم تزل حتى الآن بل زاد حبها على الأول !

- ومن أنباك بهذا ؟

- اسمعي . لا أشك في أمانتك على حفظ السر

- تكلم بحرية وكن على ثقة بكل أمورك .

- لله ما أطيب قلبك وأحسن أخلاقك يا ليت كل النساء
نظيرك نعم قد حدثت نفسي مراراً كثيرة بأن لو كان باستطاعتي
أن أحبك لعاد الهناء مائتاً حياتي سعادة وشفاء غير اني لا أقدر
أن أحكم على ذاتي فأنا أحب مرعريت .

- ان المرء لا يحب ويميل إلى من يشاء ومع ذلك ثق بأمانتي
وأنا مستعدة لمساعدتك بأمورك الصعبة بقدر استطاعتي :

فأثنى عليها كثيراً وقبل يديها الواحدة بعد الأخرى ثم قص
على مسامعها تلك الاجتماعات التي جرت بينهما في البستان حيث
كانا يتعاهدان بالملافاة . وهل تظنين أنها لا تأتي بعد أن أفهمتك
كل هذا وخصوصاً إذا علمت بأنني ملقى على سرير الموت ؟

- أنت لا تموت الآن بل بعد عمر طويل .

- ربما إذا رأيتها تعود إلى الحياة ، وان لم يساعدني الحظ
برؤيتها فلأنني أموت حزينا . آه حقا انه ليصعب علي شرح

ما بي من الآلام ان أفكاري تمذبني جداً . انها حية وتحبني
وأحبها وهي زوجتي ومع ذلك نحن منفصلان الواحد عن الآخر
وقبل أن ينهي كلماته هذه ضاق صدره وتنفس الصعداء ثم أغمض
عينيه ملقياً رأسه إلى الوراء ، فتناولت حينئذ زجاجة صغيرة
فيها رائحة منعشة كانت بالقرب منها وأخذت تنشقها منها حتى
فتح مقلتيه ثم قالت له ها أنذا ذاهبة فكن مطمئناً

– لا شك أنها تأتي وافرحته .

– خل عنك الانفعالات النفسانية فإنها تضر بصحتك .

– لا تذهبي الآن انتظري قليلاً .

– لا بأس . فإنني لك مطيعة تناولت مروحة وجعلت تروّح
بها وجهه إلى أن ابتسم وأبرقت اسرته وامتلاً وجهه من سرور
الأمّل وظهرت عليه امارات النشاط والمافية .



الفصل السابع والعشرون

انطلقت مدام فارز من عند ألبير حزينة النفس قلقة البال مضطربة اللبال لا تمى على شيء لا تعلم ولا تدري كيف تذهب الى مرغريت ومتى تذهب اليها ماذا تقول لها وبأي عبارات تبلغ امرأة ذات زوج هذا الكلام وكيف يسوغ لها ان تحرضها وتستقدمها الى رجل كان زوجها في الماضي وانفصلت عنه برضاها وفيما هي سائرة صادفت مركبة فر كبتها وأفهمت السائق بأنها تقصد شارع بروني متظاهرة بنسيان عدد المحل . قالت ذلك حتى اذا عدلت عن النزول أمام بيت مرغريت تعود بسهولة دون أن يعلم السائق شيئاً من تغيير عزمها ، وفيما كانت كذلك نظرت الى ساعتها وقالت في نفسها : الساعة الآن ه وربما لا أجدها بالبيت في مثل هذه الساعة . . مع ذلك يجب ان أتم وعدي واذهب دون تغيير وكانت العربية تسرع بها حتى اذا بلغت الى الشارع المعين منها أعلنت للسائق عدد المحل المقصود وعندما انتهت اليه أعطت الخادم بطاقة زيارتها فذهب وعاد بعد

برهة يسيرة معتذراً عن سيدته من انها تنهياً للذهاب الى فرساي
ولا تستطيع مقابلة أحد في هذا الوقت .

فلم تكتف بهذا الجواب بل تناولت قلماً وقرطاساً وكتبت
بعض كلمات يسيرة أودعتها ضمن غلاف أرسلته ثانية مع الخادم
فلم يبطنيء ان عاد اليها يدعوها الى حجرة مرغريت التي عندما
رأتها حيثها بأرق الألفاظ معتذرة باستقبالها وهي تلبس ملابسها
لأنها عما قليل تتوجه الى فرساي .

– يا سيدة مرغريت هل يسمعنا أحد ؟

– لا أحد يسمعنا تكلمي هل من خبر جديد .

أريد ان اقول لك أمراً سرياً والأخرى . .

– قولي فاني أعرف كل شيء . .

– وكيف تعرفين ؟

– قلت لك أعرف وماذا يهمني . .

– نعم ولكن لا تفهمين غاية مجيئي الى هنا . . اني آتية من
قبل البير . .

-- لا يعنيني أمره ولا علاقة له بي وليس له عندي رجاء
البتة !

— انه مريض ولكن في حالة يرثى لها ويتوسل اليك أن تزوريه في هذه الحالة .

— وهل ألبير ذاته أرسلك لاقناعي بهذا ؟

— نعم هو استدعاني وكلمني بهذا الخصوص بكل إلحاح ولجاجة . وها أنذا آتية من عنده الآن .

قالت مرغريت في نفسها ان المسألة فيها نظر . وتذكرت ما حصل لها من الغيظ والغيرة عندما أخبرت بما قاله الدكتور توري بخصوص ألبير ومدام فارز هذه . وكذلك لما ابتدأت مدام فارز بكلماتها في ذلك ، فلم يكن هذا إلا بقصد طلب رضاها للاقتراض بألبير . قالت كيف يسوغ لهذه المرأة التي هي غريبة عن ألبير بالكلية ان تذهب الى بيته وتحادثه وتجالسه بل وتعرضه بينما اني أنا زوجته ومع ذلك لا أتجاسر على ذلك حتى ولا ان افتكرك فيه وكانت الغيرة في غضون ذلك تعظم في قلبها وتزداد في أفكارها حتى اضطربت كل اعضائها فأجابت بقساوة : جاوبيه بأن امره لا يعنيني مهما كانت حالته ولن اذهب الى بيته ما حييت .

— سأبلغه الكلمات عينها حرفياً لكن بقي عليّ ان اقول لك

كلمة كنت نسيتهأ وهي انه يستحلفك ويناشدك باسم ايقون
بأن لا تخيي أمله وهو على فراش الموت . قالت ذلك وخرجت
لا تلوي على شيء .



الفصل الثامن والعشرون

ولما وصلت الى الشارع تنفست الصعداء إذ خال لها أنه سقط
عن منكبيها حمل أثقل من الجبال الرواسي ثم أخذت تفكر في
نتيجة هذه المقابلة العقيمة من كل فائدة وكيف ان مرغريت
رفضت الذهاب الى ألبير مع انه هو ، هو زوجها الحقيقي أما
روجر فانه زوج مجازي لا اكثر. أحبت البير بالماضي ولا يزال
يمبدها حتى الآن وهي منفصلة عنه . وها هو طريح الفراش
ارسل يتوسل اليها مستحلفاً اياها باسم ابنتها بأن تمنّ عليه بزيارة
في مرضه هذا ، فأبت بدلا من ان تسرع اليه وتعتني به وتطيب
قلبه ! لعمرى ان العقول لعلى تباين عظيم في هذه الدنيا .

ثم بعد إمعان النظر وتردد الفكر في هذا الاستقبال الذي
هو في غاية الفتور، أدركت مدام فارزحق الإدراك ان ذلك ناتج
عن غيرة عرت مرغريت ، ولا بأس فانها معذورة بهذا المعنى
لا بغيره .

ان مدام فارز كانت قد اضطرب بالها منذ اجتمعت بالبير
أول مرة في العهد الأخير ولم تكن من قبل الا قريرة العين ناعمة
البال وبعد تلك المقابلة مال فؤادها الى ذلك الذي تدمي حالته
القلوب أما في المواجهة الأخيرة فكادت تبكي الدم لا الدمع
على حالته التي ترق لها القلوب الصخرية ثم عزمتم ان تبذل ما في
وسمها لتخفيف آلامه وتسكين أحزانه .

عندما وصلت الى بيتها استقبلتها ابنتها بشعر باسم وهي
تطوق عنقها بيديها لائمه بتواتر وجنتيها والأم تلتذ بهذه القبلات
البنوية الحارة مصفية بجنو الى دقائق قلب ابنتها . قالت أودت:
اني استنشق بشيابك رائحة شيء ينعش القلب ويحييه .

— نعم وقد نشقت منه رائحة ذلك العليل الصديق .

— وماذا حصل له ؟

— عسر تنفس .

— وهل من خطر على حياته ؟

— لا أظن . نعم أنه ضعيف القلب ولكن ذلك لا يميت
حالا .

فأطرقت اودت برهة ثم نظرت في وجه امها فرأته شاحب
اللون .

— هل تشعرين بتعب يا أمي ؟

- أحس ببعض التعب يا ابنتي .
- أرى وجهك ممتقماً ولا قدرة لك على الوقوف فما هذا الضعف انك تعتمنين بالآخرين ولا تلاحظين صحتك .
- قالت هذا واجلاسيتها على مقعد واضعة لها وسادة تحت رأسها وجعلت تنشقها الروائح والمنعشات الى ان شعرت براحة عظيمة فنهضت وقالت . أريد ان اغير ملابسي لأننا نتناول العشاء عند مدام بلواي هذا المساء .
- أنا لا أعرف ذلك يا أماء .
- اذهبي إذن والبسي وتهيئي واجتهدي لأن تكوني جميلة تستلفتين الأنظار .
- وهل تسرين اذا كنت موضوعا لاستلفات الأنظار؟ .
- لا شك في هذا .
- ستكونين مسرورة لكن أناشذك بحيانك ان تقولي لي الصحيح عن حاله الأكيد وهل هو في خطر؟ .
- ما من خطر عليه لكن مرضه في فكره وتعلمين أن صحته نحيفة جداً .

الفصل التاسع والعشرون

بعد أن خرجت مدام فارز من عند مرغريت بنصف ساعة تقريباً رجع الدكتور روجر الى بيته وأخذ زوجته لينذهب بها الى فرساي حيث يتناولان العشاء تلبية لدعوة والديه . لكنه بهت إذ رآها جالسة ولم تزل بشوئها الاعتيادي كأنها لا علم لها بأمر السفر . فقال لها : كاد الوقت يفوتنا يا مرغريت تحضري بالسرعة قبل ان يسبقنا القطار .

- أنا لا أرغب في الذهاب الى فرساي اليوم .
- ولماذا . هل تشعرين بألم ؟
- لا أحس بشيء لكن لا أريد ان أذهب .
- يلزم ان تتشجعي واذا ما ذهبنا فاننا نسبب الكدر للذين كلفونا بالحضور .
- اكتب لهم بأنه حصل لي صداع منعني عن الذهاب واني اعدم بالزيارة في يوم آخر .

— أنت لا تريد ان تذهبي وأنا كذلك فلا بد لي اذن من ان
اخبرهم بالتلفون بأن لا ينتظرونا .

— يمكنك ان تذهب إذ لا مانع ينمك . ومن جهتي فاني
ارغب في الاختلاء بنفسى بعض الأحيان !

— ها أنذا ذاهب واتأمل ان اراك بأحسن حالة عند
رجوعي .

— ان شاء الله .

— وها أنا مرسل لك والدتك .

— لا حول ولا .. قلت لك انى احب الاختلاء فدعنى الآن
وشأنى وامض انت والسلام .

ذهب روجر الى حجرة ابنه مكسيم وحمله بين ذراعيه وهو
يلثمه واتى به الى امه ووضعها على ركبتيها قائلاً : انى اترك
الواحد بحراسة الآخر والله يحرس الاثنين معاً وخرج .

ان مرغريت عندما قالت : لن اذهب الى عند ألبير ما حبيت
ولا علاقة له معى الخ .. لم تكن تفتكر فى ما تقول . لكن عند
ما اختلت بنفسها بعد ان نام ابنها شعرت بنار شوق تحبها الى
الاجتماع بمن كانت تميل اليه ثم نهضت من غير روية والتفتت برداء
اسود وغطت رأسها « بشال » مخرم كانت تخصصه للذهاب الى
المرسح وتناولت قفازها ومفاتيحها وكيس دراهم صغير وخرجت
من حجرتها إذ كان السكوت سائداً والظلام مرخياً سدوله وان

هي إلا لمحة عين حتى صارت عند الباب الخارجي حيث استقر
عزمها على الذهاب الى عند ألبير بدون ابطاء . فاستوقفت
مركبة رأتها هنالك وسارت بها وكانت الساعة التاسعة من الليل
ولما وصلت قرعت الباب ودخلت تقول للخادم : ان الخواجا
ألبير ينتظرنني .

— يا سيدتي ان الخواجا مريض جداً فأرجوك ان تخبريني
عن اسمك .

— أنا زوجته . فانحنى الخادم احتراماً لها ومضى وما لبث
ان عاد مشيراً اليها بالدخول الى غرفة سيده فدخلت وصافحته
وهي تحديق به ولم تمض بضع دقائق حتى أغشى عليه لعظم الانفعال
فألقى رأسه على وسادته وجعل يلهث بشدة . فارتعشت مرغريت
وهمت باستدعاء الخادم لمساعدتها ولم يكن إلا القليل حتى فتح
عينيه ناظراً الى محياها المبلل بالدموع وقال : اني اراني الآن
أسعد رجل في هذه الدنيا . وبأثناء ذلك اخذت زجاجة
« كولونيا » وبدأت تفرك بمائها صدغي العليل ويديه فانتعش
وابتسم وأبرق وجهه ثم رفع نظره اليها ثانية قائلاً بمجلاوة لا
توصف : مرغريت !

— لا تتكلم اكثر . انا هنا .

نعم ان المحبين لا يحتاجون الى كثرة الكلام (وقد تنطق
العينان والقم ساكت) ثم ضغط على يدها هنيهة وشرع يعرب

عن حبه لها ويشكرها على اسراعها بالجيء اليه ، وبأثناء ذلك يقول : يا زوجتي وهي تشعر بأن صوته هذا يخرق في أعماق قلبها ثم تنظ. اليه وقلبها يرقص فرحاً لأنها اجتمعت بزوجها الحقيقي بعد الانفصال عنه مدة ليست يسيرة فمثلها مثل العليل الذي يجد الصحة بعد المرض المزمن او الاعمى الذي يرى النور بعد الظلمة . وكانت عينها تجولان في جدران الغرفة حيث الرسوم معلقة فرأت رسمه ورسم ايثون ورسمها مستندة على ذراعه . فحينئذ تفرق الدمع من عينها ثم أجهش الاثنان بالبكاء . أخيراً نشفت بمنديلها عينيه ووضعت يدها على جبهته ونظرت في مقلتيه باسمة وقالت . لا تبك سأرجع . وبعد نصف ساعة من وصولها نهضت تريد الرجوع ففهم ذلك ولم يعارضها أما هي فسألته . ومن يبقى عندك ؟

— ابقى وحدي . واذا احتجت الى شيء أدعو الخادم الذي ينام في الغرفة الثانية . فأطرقت برهة وهي تفكر في انه هل يوافق ان تبقى أولاً فرأت الأوفق ان تذهب لتتظر ابنها النائم وكان أليير يحدق بها قارئاً في ملامح وجهها ما يدور في خلدتها ولولا القليل لصرخ بأعلى صوته من شدة الألم وهو يريد ان يرجوها لتبقى عنده ولا تتركه وحده لكنه تجلد وسألها بهدوء وهل تعودين ومتى ؟

— نعم أرجع بأسرع وقت ان قدرت اما الآن فلا بد من

ذهابي كي لا أشغل بال من في البيت بأمر غيابي على حين غفلة
وربما أعود غداً صباحاً . فأجابه بلهجة مؤلمة . لا تذهبي . بل
ابقي هنا . فلم تجبه سوى بكلمة واحدة وهي . ولدي . فهز
رأسه خاضعاً إذ رأى انه لا بد من رجوعها ثم امسك يدها
اليسرى ناظراً الى الاصبع الذي كان به خاتماً اتحادها الأول
والثاني . فأشار الى خاتم اتحاده بها وقال لها بصوت منخفض .
أشكرك . فخنقتها الدموع لكنها تجللت وقالت . كن هادئاً
مطمئناً يا أليبر وسأعود اليك غداً ان شاء الله وأبقى هنا حتى
تتعافى بأقرب وقت وها أنذا استودعك الله وخرجت .



الفصل المئلاون

عندما دخلت مرغريت الى حجرتها غيرت ثيابها وأسرعت الى حيث ابنها نائم فسمعته يبكي ويصرخ منادياً . يا أماه مع ان المرضع كانت تحمله على ذراعيها وتسير به في ارض الغرفة وهو لا يزداد إلا صياحاً وبكاء فسألت امه عن سبب بكائه فأجيبته بأنه يتألم من إحدى أسنانه ولم يكف عن الصراخ حتى تناولته امه وحملته على ذراعيها وهي تلاعبه وتغني له أغنية محزنة وفي اثناء ذلك عاد الدكتور زوجر من غيابه وبروره أمام غرفة ابنه سمع صوت مرغريت التي كانت تغني للطفل بلحن محزن فلبث برهة مصغياً ليفهم المعنى ثم فتح الباب ببطء واذا بمرغريت لابسة ثوباً أبيض بوجه شاحب صفراء اللون فدنا منها وقال بلطف .
دعيني احمل مكسيم .

— هو لا يبكي الآن .

ففهم من هذه الجملة ان دخوله هو في غير محله لأن الولد ساكت فذهب حينئذ واضجع على سريره . ومضى وقت طويل ولم

تذهب الى سريرها فقام وحتم عليها بأن تنام فأطاعت لأنها
شعرت باحتياج كلي الى الراحة .

- لا تدع الولد يبكي فان صراخه يزعجني ! .

- نامي بحراسة الله ولا تخافي .

عندما وضع الأب ابنه بين ذراعيه سكتت سكوتاً تاماً
فانطلقت امه الى غرفتها ونظر روجر يشيخها وحينما اصبحت
نامت في الحال .

وقد رأت احلاماً مزعجة في نومها هذا منها : انها كانت
تمشي في أحد شوارع باريس حاملة ابنها على ذراعيها وكان يثقل
شيئاً فشيئاً حتى اضطرت ان تجلس على الحضيض إذ لم يكن
بوسعها ان تقوى على القيام والسير بعد . . اخيراً جمعت ما بقي
لها من القوة ونهضت وإذا بهوة كبيرة أمامها فلم تلبث ان سقطت
فيها وإذا بها منتبهة من نومها مدعورة مضطربة . .

ثم استوت على فراشها جالسة وهي تعيد في مخيلتها كل ما
كان جرى لها في نهارها على انها تنتظر بفروغ صبر طلوع الفجر
إذ ينشغل روجر بعيادة مرضاه وحينئذ تسنح لها الفرصة
بالذهاب الى ألبير .

الفصل الحادي والثلاثون

ثم خرج الدكتور روجر وهو مشغول البال مضطرب الخاطر
سائلاً نفسه : ترى ماذا جرى لها نهار امس وما هو سبب غضبها
وأبي شيء منعها عن أن تصحبني الى فرساي حسب العادة .
لعمري اني لم أقدر ان أعرف حتى الآن شيئاً ولو يسيراً بهذا
الخصوص .

وفي ابان الساعة العاشرة رأى روجر انه مضطرب لرؤية
زوجته فعاد الى بيته محتجاً بأنه قد نسي شيئاً فدخل توأ الى
حجرتة وأخذ بيده رزمة صغيرة ماراً أمام غرفة زوجته التي
لم يرَ فيها أحداً سوى الخادمة فسألها عن مرغريت فأجابته
بأنها خرجت .

— متى خرجت ؟

— باكراً يا سيدي .

— مع الموضع .

- كلا فان هذه ذهبت صبحية مكسيم منذ نصف ساعة تقريباً وأما سيدتي مرغريت فانها ذهبت وحدها . وكان الجو صافياً جميلاً جداً في ذلك الصباح وهي معتادة على الذهاب في صباح كل يوم كهذا اليوم وروجر يعلم ذلك . ومع هذا اضطرب على رغمه عند سماع كلام الخادمة فانقلب راجعاً الى حجراته وجلس يفكر سائلاً نفسه عن سبب هذا القلق والاضطراب ثم أخذ يشجع نفسه ويسكن فكره ووقف وهو ينظر الى ساعته فرأى ان الوقت يسمح له بميادة بعض المرضى فخرج لشؤونه ولكن اضطرابه لم يفارقه وخال له ان كل ساعة يكون بها بعيداً عن امرأته توازي الدهر كله .

وبعد ساعة من ظهر ذلك اليوم عاد ودخل حجرة المائدة حيث كانت مرغريت بانتظاره كل يوم في مثل هذه الساعة ولكن لسوء الحظ لم يجد أحداً فقرع الجرس ولما حضر الخادم سأله : أين سيدتك مرغريت ؟

- انها لم تعد حتى الآن ! ان الطعام مهياً ان كنت تريد .

- يلزم ان ننتظر مرغريت !

خرج الخادم عابس الوجه مقطب الحاجبين نظراً لتغيير أوقات الطعام وهذا يهيمه اكثر من سائر الأمور التي لا يبالي بها . أما روجر فانه فتح نافذة مطلة على الشارع وجلس أمامها وهو

ينظر كل عابري الطريق وقد ضاق صدره وعيل صبره فظهر له
عن بعد شيخ امرأة فظنها زوجته ولكن لم تكن اياها . وبعد
هنيهة نظر مركبة آتية فقال ان مرغريت فيها لا شك فنهض
لاستقبالها وقد عاد اليه بعض الرمق غير ان ظنه لم يصب ايضاً
فقال : ويلاه ! خاب الأمل وكيف العمل وهو قد مل الاضطراب
وسئم من طول الانتظار وجمعت أفكاره تتلاطم كأمواج البحر
والهواجس تتجاذبه والتخيلات تتقاذفه والظنون تذهب به في
كل شعب وواد .

وعندما رأى أنه اضحى هدفاً لهيجان أفكاره واضطرابها
المتواصل مما كاد يخرجها عن دائرة الرشد ويجعله أشبه بالبهائم
المحدر بسرعة البرق من أعلى السلم إلى حيث تسكن أمها مدام
موستل وهو كمن مسه خبل ثم سأل الخادمة عنها فأجابته : ان
مدام موستل تلبس ثيابها تفضل إلى الداخل وانتظر قليلا . فزاده
هذا الجواب ضغثاً على إباله فالتزم ان ينتظر مهدئاً روعه وهو
يضرب أخماساً لأسداس غير أنه سئم الانتظار فهجم على باب
حجرتها وقرعه بشدة وهو يدعوها ولم تكده تخرج حتى صاح
بها بصوت دوت منه كل المساكن : اين هي .. وكيف لا تعلمين ..
وهل هي في عالم الأحياء أو عالم الأموات .. قولي لي الصحيح ..
ولماذا تخفين عني .. ؟

— تمهل يا روجر لا تخف ولا تزعج نفسك ولا تلح عليّ

بكثرة الأسئلة بل دعني افعل ما بدا لي .. فان سمعت كلامي تتم
الأمور على أحسن ما يكون ..

– لكن ماذا جرى وأي شيء يوجد من جديد . اصدقيني
الخبر لقد قتلتني الاضطراب ترى الى متى تدوم معاركة هذه
الشؤون .

فتحت بها اليمنى فرأى فيها ورقة صغيرة قد كتبت فيها
مرغريت بعض كلمات فتناولها بيد مرتجفة واذا بها : يا أماء ان
ألبير في حالة النزاع ولا أقدر أفارقه ثم أعاد القراءة ثانية وهو
يفرك عينيه وارتبط لسانه وشخص نظره بوالدتها التي قالت
ها أنذا ذاهبة الى حيث هي لأرى هذا الخطب الذي حل بنا على
حين غفلة غير اني استحلفك باسم ولدك بأن لا تحرك ساكناً اترك
الأمر على مسؤوليتي قال ولسانه يتلثم . هي عنده ؟

– نعم هي عنده !

– زوجي مرغريت .. عنده ..

– لا أفهم .. كيف ..

– لا بد لي ان اذهب لاحضارها !

– قلت لك دع ذلك في عهدي أنا اعرفها حق المعرفة ذهابك
لا يوافق البتة .

انه في حالة النزاع وهي لا تكذب . يلزم ان تشفق اليوم
لتسعد غداً . يقتضي ان تكون حلماً لتعود اليك ..

– انها تكرهني الآن بدون شك آه مرغريت .. مرغريت!
قال ذلك وهو يبكي بكاء مرا ودموعه تنهل بكثرة على خديه
وأضحى منظره بهيئة يرثى لها .



الفصل السّادس والثمانون

حدث بعد أن خرج روجر أن نهضت مرغريت وهي تقصد الذهاب إلى البير بعزم ثابت أكيد إذ لم يكن أن يشغلها عنه أعظم شاغل في هذه الحياة كما انه لم يبق أن يهتما عذاب روجر وقلقه واضطرابه لأن قلبها فسا عليه حتى أضحي صخرياً صلداً . كيف لا، وقد كان اقترن بها طلباً لسعادته لا لسعادتها وراحتها إذ لو كان حبّه مجرداً عن الميسل الذاتي لكان طيب خاطرها وساعدها على احتمال المصائب دافعاً عنها جيوش المهوم من غير أن يقترن بها على هذه الصورة لأنه ابن عمها فهو والحالة هذه ملتزم بتفريج كربها وتمزيقها في أحزانها لا أن يطلب زواجها به كما جرى حال كونها مقترنة برجل حي

وبناء على ذلك ذهبت إلى غرفة ابنها وقبلته قبلات حارة في سريره بعد أن أفهمت المرضع بعض أشياء ثم خرجت إلى حيث مسكن البير لا تسوي على شيء . فهو ينتظرها ولكن بلا صبر . وقبل أن تدخل غرفة العليل فهمت من الخادم أن

الطبيب عنده ففتحت الباب توأ ودخلت بدون استئذان .
وعندما رآها الطبيب نهض عن كرسيه منذهلاً لدخول امرأة
على هذه الصورة من غير تنبيه ثم دنت من العليل ناظرة في وجهه
وقتاً غير يسير والتفتت إلى الطبيب بعد ذلك قائلة : هل عرفتني
يا دكتور ؟ ففهم من هي من مجرد سؤالها هذا لذلك وقف والنحنى
ثم جلس وظلت واقفة بقرب رأس البير ماسكة يده سائلة
الطبيب : كيف تراه ؟

– أراه تعماً يحتاج إلى ممرض يعتني به الاعتناء التام .

– أنا أهتم بكل ما يلزم .

– يظهر انه حصل له حركة في هذه الليلة مع ان الانفعال
والتأثر مضران به جداً . ثم نهض فرافقته إلى الباب الخارجي
وقبل أن يخرج سألته : كيف تراه ؟ قل لي الحقيقة يا حضرة
الطبيب .

– ان الحقيقة هي هذه لا أمل بنجاته .

– هل يطول مرضه هذا ؟

– لا أعلم بالتام . من الممكن أن يموت في هذا اليوم أو أن
يبقى حياً مدة ٤ أو ٥ أيام لا غير .

يموت اليوم البير .. وامصبيته .

- اعذريني يا سيدتي أنت سألتني عن الحقيقة .

- أشكرك يا حضرة الطبيب وهل يتألم كثيراً؟

- لا أعلم . سأعود في المساء وخرج فوقفت قليلاً أمام باب الغرفة لتخفي جزعها واضطرابها ثم دخلت باسمه وخلعت عنها رداها وودنت من السرير . نعم ان هذا العليل المحبوب قد تغير تغيراً كلياً منذ بضع ساعات . فاصفر وجهه وامتقع لونه وخف نظره فرفع بصره إليها وقال بصوت ضعيف جداً تكاد تخنقه العبرات : لا تتركيني .

- اقسم لك بأني باقية عندك حتى تشفى ثم حوّل النظر إلى رسم ايثون وقال بصوت فهمته بعد صعوبة كلية : لأجلها ابقيني عندي .

- أنا لا أدعك وحدك منذ الآن وصاعداً لأجلك ولأجل حبك لأجلها .

- فاذاً لأجل الحب لا تتركيني أموت وحدي

- بعد عمر طويل .

ثم صمتا وقتاً طويلاً كان فيه اليبير ضاغظاً على يدها وهي تحملتي به .. إذا ما رحل عني فانه يأخذ معه قلبي وشيئاً من حياتي .. بل يا ليتني أرحل معه وتتحد سوية في الأبدية بعد أن افترقنا في هذه الحياة ولم لا ادفن بقرب جثته يا ترى وهل من سرور بعده

في هذه الحياة الدنيا لا لعمرى الله ما أعذب الموت متحدين . نعم
وقد تجاذبنا الحديث مراراً بهذا الموضوع قبل الانفصال وهو أن
نموت في ساعة واحدة ، ان حياتي بعده مرةً للغاية ولا بد من
موتي في الغد وما هو الفرق بين اليوم والغد الفرق هو ان موتي
معه اليوم أعذب من موتي في الغد ، فياليتني أموت معه اليوم
لتطير روحي مع روح من أحب حيث تتأسان في الفضاء
وتجتمعان من غير انفصال إلى الأبد .

فتح البير المنازع عينيه ناظراً إليها فخال لها أن ذلك البصر
الذي أضحى بعمداً يشير إليها لتأتي إليه فابتسمت ونظرت في
وجهه بحرقه هذا مقدارها مريدة أن تطبع صورته في ذهنها
وتنقش أسرة وجهه على صفحات قلبها تصورت انه وحيد فريد
في هذا الكون بل انه هو ، هو العالم بأسره فإذا مات ماذا
يبقى يا ترى ؟

وإذ كانت ساجدة في فضاء هذه التصورات حصل لأبير
اضطراب عظيم وعسر تنفس فظنت ان ساعته الرهيبه قد دنت
فتقطع قلبها هلعاً وحزناً ونهضت مذعورة وهي ترتجف فدخل
الخادم وجعل ينشق المنازع المنعشات النافعة راشأ على وجهه الماء
البارد إلى أن انتعش نوعاً وخف ذلك البحران وعاد إلى سكونه
الأول وهو خمود طويل ، سكوت هائل لاقتراب ساعة الموت ..
فظنت انه نائم وتنحنت جانباً وسألت الخادم : كيف قضى
ليلته الماضية .

— كتب عدة تجارير ثم أغمي عليه من شدة التعب . ثم سأها
باحترام متى تريدن أن تفتري يا سيدتي ؟ .

— ومن له قابلية في هذه الحالة .

انما سؤال الخادم هذا فكرها ان زوجها ينتظرها بدون شك
كما انه لا يعلم أين هي لأجل هذا كتبت تلك الكلمات الوجيزة
وأشارت إلى الخادم أن يرسل ذلك إلى أمها في الحال . وبما أن
مرغريت أرادت أن تحفظ قواها إلى النهاية أمرت الخادم بأن
يهيء لها شيئاً من الطعام لأنه يلذ لها أن تتناولته تحت سقف بيته
في آخر ساعة من ساعات حياته .



الفصل الثالث والسبعون

توسلت مدام موستل إلى مرغريت ابنتها من صميم قلبها بأن تعود بالعجل إلى.. زوجها فلم تمر كلامها جانب الاصفاء . وبعد أن ذكرت لها ابنتها الصغير أجابت : اني افكر فيه وفي نفسي أيضاً كما انه ليس باستطاعة أحد أن يأخذ مني ولدي.. وسأدافع عن نفسي ما استطعت بدأت أمها تلح عليها متوسلة إليها بأن نعود إلى بيتها ٣ أو ٤ ساعات ثم ترجع وهي تقوم مقامها في خدمة البير وتمريضه . فلم تبال بهذا القول بل انقلبت راجعة إلى حجرة العليل وهي تقول لها : في الزمن الماضي كنت أعمل بموجب أمرك ونهيك أما الآن فلا . نعم قد تغيرت تغيراً كلياً . وذلك لأن البير هو زوجي الشرعي أمام الله والناس ونفسي . ولو كان في حالة النزاع ولا يكون مكاني إلا بالقرب منه في الحياة بل وفي الممات أيضاً .

— وابنك يا مرغريت ؟

— ابني لا يحتاج إلي اليوم ولا غداً بل وفي الحالين لا أترك

البيير قد تركته مرة في الحياة وذلك لا يعني اني أتركه في ساعة الموت . قالت هذا وخنقتها الدموع فلم تدر . امها ماذا تقول ولا كيف تعمل وأين تتوجه ؟

- يا ابنتي مرغريت قد تركت روجر كالمجنون .. فهل تسمحين لي أن أعود بعد ذهابي إلى هنا وأبقى معك إلى حين رجوعك إلى بيتك .

- نعم .

رفعت أمها يديها إلى السماء وجعلت تناجي ربها قائلة : آه يا لها من تعاسة ! ليم لم تسمح يا الله بأن يقترن البيير بمدام فارز بل كيف شاء العدل الإلهي أن يكون هذا الرجل سبب لتعاسة ابنتنا أولاً وثانياً مع ما هي عليه من التمسك بشرائعه والمحافظة على وصاياه ! ثم مضت وهي لا تعي على شيء ولا تدري بما تجيب ذلك الذي كان ينتظرها في حال يرثى لها ويرق الجلود الأصم . وعندما وصلت أخبرته بما دار من الحديث بينها وأن العليل مطروح على فراش الموت يقاسي آلام النزاع وهو لا شك مائت . وكان روجر يسمع كلامها لن لا يفهم معناه قد بذلت مجهودي ترى ماذا يلزم أن أصنع أكثر وكنت قلت لها بأني أرجع إلى عندها لأكون بصحبتها وهذا الرأي هو في غاية الموافقة واللياقة . فهل من مانع عندك .

لم يجيبها روجر على الفور بل فكر وقتاً طويلاً ثم قال : لا بأس من رجوعك إلى هنالك .

– لله درك يا روجر فقد خلصتنا بهذه الحيلة من ألسنتهم .

– لا يلزم أن تظهرى اضطرابك هذا أمامهم وخذي كل ما تحتاج مرغريت إليه معك ..

حينئذ ترقرق الدمع في مقلتيها وقالت : لله ما أطيب قلبك وما أسلمه كيف لا تحبك يا أحسن الرجال وأسماهم بالفعال والأعمال !

– اذهبي حالا فإني متكل عليك في مثل هذه الأحوال .

الفصل الرابع والسبعون

وكان نورحياته ينطفئ شيناً فشيناً ومرغريت جاثية بقربه في هيئة تفتت الأكباد وماسكة يده بين كفيها وهي تردد على مسميه من وقت لآخر . أنا هنا وتبكي بكاء مرأ ليس على ما تراه في الحال فقط بل على الماضي إذ انفصلت عنه بمجرد ارادتها وبذلك رفضت حبه وسماحتها معاً . وحينما عادت امها جلست في الغرفة المجاورة لأن مرغريت تريد أن تكون منفردة في حجرة الليل . وبما أن النافذة بها تطل على البستان أجمالت النظر في تلك الحديقة الغناء المحتوية على انواع الازهار والرياحين ثم حولت عينها الى جدران الغرفة حيث رسم مرغريت وايثون فتبادر الى ذهنها حالا ان ابنتها ذات زوجين فلو ان هذا المنازع يعود الى الحياة ماذا يحدث يا ترى ؟ وهل تنفصل عنه مرغريت لتعود الى روجر . ان الامارات لا تدل على شيء من هذا ! وهي بدون شك تبقى عنده ، كيف لا وهو زوجها ولكن الحمد لله ..

فان الرجل مائت لا محالة . . . وكانت الساعة تمر ببطء لدى مدام
موستل هذه فضايق صدرها وعندما سألت عن حال المريض قيل
لها انه لا يزال على ما كان عليه من الضعف والانهطاط وقد عاده
الطبيب وخرج من غير ان يقول شيئاً فخابرت روجر بالآلة
الناقلة الصوت « التلفون » وسألته عن حالة مكسيم فأجابها انه
يهتم به وألح عليها بالألا تترك مرغريت .

في أول هجمات الليل ابتداء النزاع فشمرت مرغريت إذ
ذاك بخوف هذه الوحشة الهائلة وحدها وعند انتصاف الليل
استدعت والدتها واجلستها في ركن من الغرفة وبقيت هي
بجانب السرير الذي كان لم يزل يحسوي على آثار تلك الروح
الراحلة الى عالم الأبدية . ولم تكن تجرد من تعزية وتسلية سوى
البكاء والنحيب ثم جثت على ركبتيها ساكبة الدموع الحارة
- دموع ندم وحب وحزن -

ولم تكن الساعة الثانية بعد نصف الليل إلا سمعت مدام
موستل صوتاً زعزع اركان ذلك البيت : وا مصيبتاه وا لوعتاه
لمن تتركني :

يا راحلا ودموع الحزن تصحبه هل من سبيل الى لقياك يتفق
نعم مات ولم يبق لها ان تراه وعمما قليل ينحل في قبره

ويعود الى التراب الذي أخذ منه الانسان . كانت مرغريت تسمع كلام امها وتفهمه ولا تستطيع ان تعمل بموجبه بل كانت تغمض عينيها وتأبى ان تجيب عليه بكلمة حتى حارت امها في أمرها وفي غضون ذلك وصلت مدام فارز وهي مصفرة الوجه ممتعة اللون خائفة القوي ، فنهضت للقائه . مرغريت بسرعة وتماثفتا وهما تعولان وتنتجبان حتى جرت دموعهما على الحضيض ومسا من معز يقف لوعتها ولا تزدادان إلا صياحاً ونواحاً بنوع يرق له الصخر ، ثم سألتها مرغريت وكيف بلغك خبر نعيه ؟ أجابتها ، كان كتب لي ليلة مجيئك الى هنا ، أشار ان يرسل لي كتابة بعد موته وهكذا وصلني في هذا الصباح . فتجدد بكاء مرغريت وقتاً طويلاً وهي تندبه وترثيه وتودعه الوداع الأخير بألفاظ ترحزح الجبال الرواسي ، ثم قالت لها مدام فارز . هل تريدن أن تأتي إلي حيث تبقيين يوماً أو يومين ؟

- نعم بكل اختيار . قالت أمها: وزوجك يا مرغريت ..؟

- لا اقدر أنت أراه الآن . . فأنا أريد الذهاب معها
لا محالة !

.
جثت الاثنتان أمام جثة ألبير الهامدة زماناً غير يسير وهما
تصليان وتضرعان إلى الله بأن يرحمه ويمتد تلك الروح براحة في
فسيح جنانه ، ثم زودتاه بنظرات الوداع الأخيرة وخرجتا وفي
كل قلب جراح عميقة .

نعم ان نيران الحزن المتقدة في الأحشاء تخمد شيئاً فشيئاً ثم
يستدعي الصغير أمه فتعود هذه إليه بشوق وحنين والعود احمد
وذاك الذي كان حليماً غفوراً يصبح في آخر الأمر محبوباً أبداً
الدهر ...

